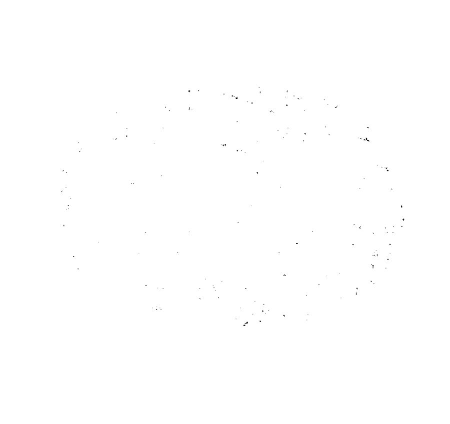
منهج البحث التاريخي
دراسات وبحوث

دكتور
عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة -- فرع الفيوم

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م





مقدمة

التاريخ من أهم الميادين الفكرية التى اهتم بها الانســـان والتى ظهرت منذ عـــرف الكتابة اذ شـــعر بالحاجة الى تدوين ذكرياته وافكاره ومعارفه وتسجيل خواطره عن الكون خوفا عليها من الضياع . فالتاريخ بدأ تدوينا لحوادث وأخبار منفردة ، أو ترجمة لملك أو تخليدا لعظيم ، ثم انتهى بتأريخ حياة الشعوب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بطريقة لا تقتصر على سرد الخبر أو الحادث بل بطـــريقة يصـــدر فيها المؤرخ احكامه بأســـلوب علمى يقـــوم على البحث فى الوثائق التاريخية واستخلاص النتائج التى تتعلق بجهود البشرية فى المـــاضى ، وكيفية الاستفادة منها فى الحاضر .

وللتاريخ أبعاد ثلاثة أولها انه علم له منهج يبرزه من خلال دراســـته للحدث والتحقق من ابعاده ، وابرازه للتجارب الانســـانية الماضـــية مستعينا فى ذلك بما تركته وراءها من آثار . وثانيها انه أدب لأنه يتطلب ذوقـــا رفيعـــا ومقاييس واضـــحة خلال عـــرض موضوعاته . وثالثها انه فن لأنه يحتاج الى الابداع والخيال الذى يبعث الحياة فى الماضى ، ويبرزه فى ثوبه اللائق به . والى جانب ذلك فان التاريخ يتطلب بصيرة علمـــاء النفس والفلســـفة واحكامهم وخصـــوصا انه التجـــربة المدونـــة للجنس البشرى التى يستطيع الانسان أن يستفيد منها فى شتى ميادين المعرفة ، وان اعادة كتابته تعـــد بمثابـــة اختصـــار للتجـــارب البشرية ، وحفظ لخبرتها كما انه أشـــد العلوم الاجتماعية انسانية ، هذا بالاضافة الى انه بمثابة ذاكرة الشـــعوب ، وخاصـــة ان الشـــعوب التى لا ماضى لهـــا لا هوية لها .

ولـمـّا كان لكل علم منهجه فان التاريخ منهجـــا له طبيعتـــه فى البحث يشمل مجموعة من القواعد والأسس التى يسلكها الباحثون بهـدف تنظيم عملية البحث التاريخى .

ومن المعروف ان مدلول منهج البحث يتكون من كلمتين الأولى منهج وتعنى الطريق او السلوك وهى مشتقة من كلمة نهج بمعنى سلك او اتبع ، وكلمة منهاج بمعنى الطريق الواضح أو الخطة المرسومة ، ومنها منهاج الدراسة [١] .

وفى التنزيل الحكيم « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » [٢] .

وقد استعمل افلاطون وارسطو هذه الكلمة فاستخدمها الأول بمعنى المعرفة واستعملها الثانى بمعنى البحث عن المعرفة ثم تأصلت هذه الكلمة فى عصر النهضة الأوربية فاستعملها الفرنسيون وأطلقوا عليها Mothode واستخدمها الانجليز واسموها Method بمعنى القواعد العامة الموضوعة من اجل الوصول الى الحقيقة فى العلم . وبالنسبة لكلمة بحث فهى مصدر الفعل الماضى بحث ومعناه فتش او تقصى أو تحرى أو حاول ، ومعنى ذلك أن معنى البحث لغويا يعنى تقصى حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور .

وعلى ضوء ذلك فانه يمكننا تعريف منهج البحث بأنه القواعد المنظمة والأسس المحددة التى يسلكها الباحث لتعينه على ترتيب أفكاره ، وممارسة عمليات التمحيص والتحليل بهدف الوصول الى الحقيقة العلمية أو اى ضرب من ضروب المعروفة .

والبحث فى التاريخ يبدأ — شأنه كشأن العلوم الأخرى — بأن يدرك الباحث أن هناك شيئا يتطلب الايضاح ومن هنا يبدأ بتحديد مشكلة الدراسة ، وأهداف البحث . ومن المعروف أن الغاية الأساسية من وراء أى بحث علمى هى المعرفة ، وهذا يجعل دور الباحث فى التاريخ لا يقتصر على تدوين الحوادث على النحو الذى يمدنا بالأخبار بل يشمل تحليلها ومحاولات كشف وجوه ارتباط بعضها ببعض ، علاوة على ارتباطها من حيث

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ج ٢ ، طهران ، المكتبة العلمية ص ٩٦٦ .

(٢) المائدة : الآية ٤٨ .

التتابع أو الاتفاق الزمنيين . ومع أن كل حادثة تاريخية تعــد فريدة فى بابها من بعض الوجوه فانها ايضـــا يمكن ان تشــبه غيرها من الاحــداث التاريخيـــة .

ولمـــا كان معظم الدراســـات حــول هذا الموضــوع قد مضى عليه حين من الزمن ولم يواكب الدراســـات الوثائقية والبحثية الجديدة ، ونظرا لأن تقــدم البحث فى علم التاريخ يرتبط بالمنهج ويدور معــه وجــودا وعدما ، وخصبا وعقما وصــدقا وبطلانا ، واصالة وركاكة . ونتيجة لأن المعــرفة الواعية بمناهج البحث التاريخى تســتلزم بالضرورة اتقـــان الباحثين لبحوثهم ، وتلافى الكثير من العثرات التى تعتــرض بعضـــهم فاننا قد حاولنا أن ندلى بدلولنا بهذه الدراسة التى نرجو أن تحقق بعض النفع لطلابنا وباحثينا ، وان تثمر ثمـــارها المرجــوة فيما يفيــد تــوجيه البحث العلمى ، كما نرجـــو الا يكون حبنا للتاريخ أعمق من معرفتنا به ، وأن تؤدى حسن معرفتنا به الى المزيد من الاستفادة منه .

وفى الختام نذكر اننــا نضع فى اعتبارنا كل المحاولات الجـــادة التى سبقت هذه الدراسة مثل كتابات حسن عثمان ا واسد رستم وغيرهما بقينا منا أن دراستنا هذه لا تنشأ من فراغ ، كما انها لا تنتهى من فراغ بل هى حلقات متصلة ، وهذه الدراسة حلقة من هذه الحلقات ســوف تتبعهــا دراســـات ودراسات ان شاء الله .

والله اسأل أن يوفقنا للعمل المفيد .

ا . د عبد المنعم ابراهيم الجميعى

ابها ، المملكة الســـعودية

فى ١٣ محرم ١٤١٢ الموافق ٢٣ يوليو ١٩٩١

الفصل الأول

كلمة تاريخ وتطور استخدامات العرب لهـا

كلمة التاريخ فى اللغة العــربية تعنى الاعلام بالوقت ، ويقال ارخت الكتاب وورخته توريخا اى حددت وقت كتابته [١] .

فكلمة توريخ تعنى أيضـــا التعــريف بالوقت وهى لفظ عربى أصيل وقيل أنها مأخوذة من أصل سريانى معناه الشهر .

وعن هذه الكلمة يقــول الصولى تاريخ كل شىء غايته ووقته الذى ينتهى اليه زمنه [٢] ، ويقــول السخاوى انه التعريف بالوقت الذى تضبط فيه الأحوال من مولد الرواة ، والأئمة ، ووفاة ، وصحة ، وعقل ، وبدن ورحلة ، وحج ، وحفظ ، وضبط ، وتوثيق ، وتجريح [٣] .

أما عن نشأة كلمة التأريخ بالهمز ، والتاريخ بتسهيل الهمز فتختلف الروايات حولهـــا وان كان الرأى الســـائد انها ليست عربية محضة [٤]،

---

(١) انظــر . مجمع اللغة العربية : القاموس المحيط جـ ١ ص ١٣ ، وبطرس البستانى . محيط المحيط ، بيروت ١٩٨٣ ص ٧ ، وملا كاتب جلبى : كشف الظنون عن أســـامى الكتب والفنون جـ ١ ، اســـتنبول ١٣١٠ هـ صفحة ٢١٢ .

(٢) ابو بكر الصولى : ادب الكتاب ــ تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهــرة ١٣٤١ هـ ص ١٧٨ .

(٣) شمس الدين السخاوى : الاعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، بيروت، دار الكاتب العــربى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ٧ .

(٤) من المعروف ان تحديد الوقت عند العــرب قبل الاسلام كان يرتبط دائما بأمر مشهور يحدث لديهم فعرب الجاهلية كانوا لغلبة الأمية عليهم =

فالبعض يعتقد ان أصلهـا غـربى والبعض الآخـر يعتقـد ان اصـلها شرقى . ويستند أصـحاب الراى الأول على انها مأخوذة من كلمة ارخى Arché اليونانية بمعنى بداية أو حكم ، وأرخايوس Archaios بمعنى قديم ويستندون فى ذلك الى أن التاريخ ما هـو الا ذكر للاحداث من قديمها الى حديثها ، كما يـرى بعض هؤلاء انها مأخوذة من كلمة هستوريا Historia الرومانية التى تعنى البحث عن الأشياء الجديرة بالمعـرفة ، ثم تدهـور استعمال هذه الكلمة فى اللاتينية حتى استعادت قيمتهـا فى اللغات الحديثة .

أما عن الراى الآخـر الذى يرجح أن أصـل هذه الكلمة شرقى فيستند بعضهم على أن كلمة التاريخ معربة من كلمة ماه روز [٥] الفارسية ومعناها حساب الشهور والأيام [٦] كما يستند بعضهم الآخـر على أن اصـول هذه الكلمة سامية وانها مشتقة من القمـر أو الشهر بمعنى أنها تعنى التوقيت حسب القمر .

ولنا هنا أن نشير الى انه كان لدى العـرب قبل الاسلام أنماط متعددة من المعـرفة التاريخية منها الأيام والأنساب والقصص ففى الأيام عـرفت العـرب نوعا من التاريخ الشفهى وخصوصا أنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك ، فقـد كانت القبائل تروى فيها مآثرها والحروب التى خاضتها والانتصارات التى حققتها وقـد اتخذت هذه الأيام فى اغلب الأحيان أسماء الشخصيات التى شاركت فيها ، أو أماكن الأحداث التى وقعت عليها أو السبب الذى دعا اليها او غير ذلك ، واكثر ما تكون تسمية اليوم بالمكان كيوم الكلاب وهـو موضـع بين الكوفة والبصرة ، وغير ذلك .

=

يتذاكرون أيامهم واحداثهم عن طـريق الرواية الشفوية على هيئة اشعار أو أخبار متفرقة ، وكانوا يبنون التاريخ على الليالى دون الأيام بخلاف العجم، كما كانوا يؤرخون بالأمور المشهورة التى كانت تحدث لديهم فأرخ العدنانيون بعام نزول اسماعيل مكة ، وكذلك ارخوا بعام الفيل الذى ولد فيه نبى الاسلام محمد بن عبد الله .

(٥) ماه تعنى القمر ، وروز تعنى اليوم .

(٦) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٩ .

وبالنسبة للأنساب فقد كانت كل قبيلة تحتفظ بنسبها كما كان لكل قبيلة نسابتها .

اما عن القصص فقــد كانت فى معظمها مليئة بالأساطير والخرافات التى تروى للأجيال عن بطولات مزيفة وأخبار مصطنعة .

وعلى كل حال فان هذه الأنماط من المعــرفة التاريخية لم يكن الهدف من تناقلها تكوين مادة تاريخية تربط ماضى العرب بحاضرهم بقدر ما كانت ترجع الى الروايات الأدبية التى تتســم بالمبالغة والتحيز لكى تتفاخــر بهــا القبائل فى اثناء أسمارها للاستمتاع بها .

والجدير بالذكر ان كلمة تاريخ لم تذكر فى الأدب الجاهلى ولا فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية الشريفة وان كان من المسلم بــه أن القرآن الكريم قد عمق الاحساس التاريخى عند العــرب حين أشار الى الأمم والقبائل والأنبياء السابقين ، وقص عليهم قصص الأمم الخالية بهدف اثارة العبرة فى نفوسهم كما أثبت أن للتاريخ معنى معينا على الانســان أن يتبعه دائما ، وهو أن الانسان هو الذى يصنع مصيره بنفســه خيراً كان أم شرا فان حسن عمله فى حياته ازدهرت حضارته ، وازدانت معيشته وان أفسد حق عليه العذاب والدمار . يقول تعالى « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (٧) .

وقال تعالى « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » (٨) .

وبعد ظهور الاسلام تطلبت الظروف الجديدة التى طرات على المجتمع الاسلامى ظهــور انماط جــديدة من المعرفة التاريخية وكان من ابرزهــا ظهــور الوثائق السياسية فقــد كان من اول أعمال الرســول صلى الله

---

(٧) آل عمران : الآية ١٣٧ .
(٨) النساء : الآية ٢٦ .

عليه وسلم كتابه الذى نظم به التعاون بين المهاجرين والأنصار واليهود [٩] . وقد كان بمثابة المعاهدة الأولى فى الاسلام ، ثم الرسالة التى ارسلها صلى الله عليه وسلم لعبيد الله بن جحش فى سريته المعروفة [١٠] ، وتوالت بعد ذلك المعاهدات والأحلاف بين الرسول والمشركين ، كما توالت الرسائل بينه وبين قواده ، وبينه وبين ملوك وحكام البلدان المجاورة أمثال ملوك فارس ، والروم ، ومصر والحبشة وغيرها .

وعلى الرغم من ذلك فان كلمة التاريخ عند العرب لم تستعمل الا فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فبعد أن ارسل اليه ابو موسى الاشعرى يخبره بحيرته فى العمل بما يرد اليه من مراسلات بقوله « أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها نعمل . فقد قرأنا صكا محله شعبان ، فما ندرى أى الشعبانين اهو الماضى ام القابل ؟ » [١١] ونتيجة لذلك جمع عمر وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال « ان الأموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ، فقال له الهرمزان [١٢] « ان للعجم حسابا يسمونه (ماه روز) » ثم شرح للصحابة كيفية استعمال ذلك فقال لهم عمر « ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة » فقال له بعض من حضر من مسلمى اليهود « ان لنا حسابا مثله مسندا الى الاسكندر » فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول ، وقال قوم نكتب على تاريخ الفرس ، قيل ان تواريخهم غير مسندة الى مبدأ معين . بل كلما قام منهم ملك ابتدءوا

---

(٩) ابن هشام : السيرة النبوية — (أربعة أجزاء) تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ ٢ ص ١٤٧ .

(١٠) نفسه جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(١١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جـ ١، القاهـرة ، المطبعة العامرة الشرفية ، ١٣٢٢ هـ ص ٢ — ٣ .

(١٢) ملك الأهواز ، وقد أسر عند فتوح فارس ، وحمل الى عمر وأسلم على يديه .

التاريخ من لدن قيامه ، وطرحوا ما قبله [١٣] ، وتبادلوا الراى فيما يتخذونه بداية لتاريخ المسلمين فراى البعض أن يكون المبدأ ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، وراى بعض آخــر أن يكون سنة البعثة ، ثم استقر الراى على اختيار الهجــرة وخاصة انها فرقت بين الحق والباطل ، هذا الى جانب ان وقتهــا لم يختلف فيه احــد ، كما اختار المسلمون شهر المحرم بداية للسنة الهجرية لأنه منصرف الناس من حجهم . وهكذا كان المسلمون مستقلين فى اختيارهم عن غيرهم ، معتزين بهجرة نبيهم التى كانت منطلقة لبناء الدولة الاسلامية ، ونتيجة لذلك صــار التقويم الهجرى عنصرا حيوية فى نشأة الفكرة التاريخية عند العرب .

وقد ظلت كلمة تاريخ عند العرب تعنى الحقبة أو الزمن ثم اكتسبت بعد ذلك معنى البحث فى وقائع الزمان واحواله وفى ذلك يقــول السخاوى عن التاريخ « أما موضوعه فالانسان والزمان ، ومسائله : احوالهما المفصلة للجــزئيات تحت دائرة الأحــوال العارضــة الموجــودة للانســان وفى الزمان » [١٥] .

ومع ذلك دار نقــاش طــويل حول مدلول هذه الكلمة فى اللغــات العربية والأوربية ، ففى اللغة العــربية يــرى البعض أن كلمة تــأريخ بالهمزة أدق من كلمة تاريخ (بالالف اللينة) ويرى البعض الآخــر عكس ذلك ، ويبدو أن هذا اللبس ذاته موجود فى اللغــات الأوربيــة فكلمــة History الانجليزية ، وكلمة Histoire الفرنسية ، وكلمة Geschichte الألمــانية تستعمل غالبا للمعنيين وان كان بعض العلماء قد حاول التمييز بينهما فاطلق بعض الفرنسيين مثلا Histoire (بــ H كبرى) على الماضى ، وكلمة Histoire على العلم ، واحتفظ الالمان بكلمة Geschichte للمعنى الأول وكلمة Histoire للمعنى الثــانى .

---

(١٣) الجبرتى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢ — ٣ .

(١٤) عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٨٣ ص ١٩ .

(١٥) شمس الدين السخاوى : المصدر السابق ص ٧ .

اما فى العربية فاننا نتفق مع الرأى الذى يقـول ان كلمة تأريخ يمكن أن تطلق على دراسـة الماضى ، امـا كلمة تاريـخ فتطلق على المـاضى ذاتـه (١٦) .

وعلى اى حال فان علم التاريخ عند المسلمين يرتبط بعلم الحـديث الذى يعـد أحد فروع المعرفة الرئيسية فى الدراسات الاسلامية اذ عنى المسلمون بجمع الأحاديث ليفسروا بها القرآن ، ويستنبطوا أحكام الـدين فاعتمدوا على طريقـة الجرح والتعديل فى الحديث للوصول الى الحقيقة وقد أكد السخاوى ذلك بقوله : « فعلم التاريخ من فنون الحديث النبوى . وقعه من الدين عظيم ، ونفعه متين فى الشرع » (١٧) ومعنى ذلك أن العناية بدراسة الحديث والكتابـة فى سـيرة الرسـول صلى الله عليه وسـلم قد شجعت على القيام بالدراسات التاريخية فكان الاهتمام باقوال الرسول وافعاله للاهتداء بها أو الاعتماد عليها فى التشريع وفى التنظيم الادارى ، وفى شئون الحياة ، مصدرا هاما للتشريع كما كانت مغـازيه وغـزوات أصحابه موضـع اهتمام واعتزاز لدى المسـلمين ومجالا للدراسـات التاريخية (١٨) وقد انتهت الينا سيرة الرسـول فى كتاب عبد الملك بن هشام الذى انتهت اليه السيرة التى كتبها ابن اسحاق الذى قسم السيرة الى ثلاثة اقسام قسم يتناول فتـرة ما قبل الاسلام وقد أطلق عليه ابن اسحاق المبتدأ ، والقسم الثانى ويتناول ميلاد الرسـول ونشـأته حتى البعثة ، أما القسم الثالث فيتناول حيـاة الرسـول بعـد البعثـة الى وفاتـه (١٩) .

ولما توسعت الدراسة فى الحديث لتشمل أقوال الصحابة والتابعين توسعت الدراسات التاريخية على غرارها ، يضاف الى ذلك أن القضايا

---

(١٦) قسطنطين زريق : نحن والتاريخ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤ ص ١٤ .

(١٧) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السـلوك ، القاهرة مطبعة بولاق ، ١٨٩٦ ص ٢ .

(١٨) الدورى : المرجع السابق ص ١٩ — ٢٠ .

(١٩) للتفاصيل : انظر ابن اسحاق : المصدر السابق .

السياسية ، ونظم الحكم وخاصـــة مسألة الخلافة ، وتــراجم الاعــلام وطبقات الرجال تطلبت البحث فى النواحى التاريخية . ومن هنا ظهـــرت دراسات فى السيرة النبوية وفى المغازى [٢٠] وفى نسب قـــريش ، وفى الانظمة الادارية فى الأمة الاسلامية ، وفى التراجم لرجال الفقه والحديث والعلم وغيرهم . ونتيجة لذلك تحول الاخباريون والنسابون فى القـــرن الثانى الهجرى الى كتابة التاريخ فى صورة يوميات ، ثم حوليات ، ومن يقـــرأ هذا النوع من التدوين التاريخى فكأنه قد عايش الأحداث يوما بعد يوم ، وشهرا أو سنة فى اثر شهر او سنة .

وتكفى مراجعة يسيرة لكتاب الفهرست لابن النديم وكتاب كشــــف الظنون لحاجى خليفة للالمام بذلك الرصيد الضخم من تراث العصر الذى اضاف اليه كل جيل رصيده .

وفى العصر العباسى الأول ازدهرت حركة جمع الشعر الجـــاهلى وتدوينه لحماية هذا التراث الذى ظل ينقل مشافهة من جيل الى جيل ، مما ادى الى تعرضـــه لآفات الرواية النقلية احيانا ، والى ضياع بعضه فى غمار الزمن ، ومتاهة النسيان احيانا أخرى [٢١] .

ومن المعروف ان التدوين التاريخى شىء والتأليف التاريخى شىء آخـــر مختلف تماما فالأول مجـــرد نقل الأحـــداث والأخبار ، والثانى هـــو عرض الأحـــداث وتبويبها وتحليلها فلا يقف المؤرخ عند نقل الحوادث وسردها بل يضم اليها رايه ويصـــدر عليها حكمه ، أى ان التدوين يصلح أن يكون مادة لصناعة التاريخ فى حين أن التأليف التاريخى هو التاريخ الذى يقم عن طريقه تفسير الأحداث وابراز طبيعتها .

---

(٢٠) للتفاصيل أنظـــر . محمد الواقدى : مغازى الرسول وسراياه — نشر جماعة الكتب القديمة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

(٢١) بدأ الاهتمام بجمع هذا التراث لاستنقاذ تراث العربية من التيار الشعوبى الذى تفشت فيه العجمة واختلاط الألسن لتفاصيل ذلك ، انظر ، عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماضى وحاضر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

وقد اشترط علماء المسلمين فى صحة التدوين التاريخى أن يكـــون الراوى للحدث أو الواقعة أحد شهود العيان له فقرنوا صحة الخبــــر بالشهادة ، والشـــهادة لا تثبت الا عن رؤية أو سماع ، وعلى هذا الأساس تكونت المعــرفة التاريخية لدى المسلمين .

ونتيجة لأهمية التاريخ فى حياة الأمة الاسلامية عدد الكتاب المسلمون فوائد التاريخ . يقول ابن الأثير (٢٢) « ان فوائد التاريخ كثيرة ، ومنافعه الدنيوية والأخروية كثيرة » وقد عدد هذه الفوائد بقوله :

١ — ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء ، وانه لا يجــد فرقا بين ما يراه ويسمعه وبين ما يقراه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين « فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم » .

٢ — ان الحكام اذا وقفوا على سيرة أهل الظلم والعدوان وراوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف استقبحوها واعرضوا عنها ، واذا راوا سير الولاة العادلين وحسنها ، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، استحسنوا ذلك ، ورغبوا فيه ، وتداوم بمحاسن الأخلاق .

٣ — حصول الانسان على العديد من التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما تصير اليه عواقبها « فيزداد بذلك عقلا ، ويصــبح لأن يقتــدى بــه أهلا » .

٤ — ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكــر شىء من معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها فترى الأسماع مصيغة اليه ، والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره (٢٣) .

ويقول السخاوى « ان التاريخ جم الفــوائد كثير النفع لــذوى الهمم العالية والقرائح الصافية » .

---

(٢٢) أنظــر : الكامل فى التاريخ جـ ١ ، المجلد الأول ، بيروت ، دار صادر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ٦ — ٧ .

(٢٣) نفســه .

ويذكر ابن خلدون : ان فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد ، شريف الغاية اذ هـو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم (٢٤) .

ويقول عنه أيضا أنه « فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع ، وأسبابها عميق » (٢٥) .

ويقول صاحب « كشف الظنون » أن « علم التاريخ هـو معـرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم ، وانسابهم ووفياتهم الى غير ذلك وموضوعه أحوال الأشخاص الماضين .. والغـرض منه الوقوف على الأحوال الماضية وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصحبها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن » (٢٦) .

ويقول عنه المؤرخ المصرى « عبد الرحمن الجبرتى » « اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسـومهم وعاداتهـم وصنائعهم وانسابهم ووفياتهم . وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم. والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضـية من حيث هى ، وكيف كانت وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ، ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين ، ويستجلب خيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ، ويزهد فى الفانى ويجتهد فى طلب الباقى » (٢٧) .

---

(٢٤) من المعروف ان ابن خلدون ذهب الى أن التاريخ فرع نوعى من المعرفة يهتم بكامل مجال الظواهـر الاجتماعية ويكشف المؤثرات المختلفة .
والمزيد من التفاصيل حول ذلك الموضوع انظـر تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

(٢٥) نفسه ج ١ ، بيروت ص ٧ .

(٢٦) كاتب جلبى : المرجع السابق ج ١ ص ٢١٢ .

(٢٧) الجبرتى : المصدر السابق ج ١ ص ٢ .

ويقول المؤرخ النجدى « عثمان بن بشر » ان « علم التاريخ علم شريف فيه موعظة واعتبار ، واطلاع على حوادث الدهـر الدوار ، ومعرفـة أحوال الماضين مما يوقظ الأذهان والأفكار ، ويقيس العاقل نفسـه على ما مضى من أمثاله فى هذه الديار » [٢٨] .

ويقول المؤرخ اليمنى عبد الواسع الواسعى عن علم التاريخ أنـه « علم جليل المقدار شهدت بفضله الآيات والأخبار ، واعتنى بنقله الأثبات والأخبار ، وانفقوا فى ذلك نفائس الأعمار ، يطلع به العاقل على ما مـر من الأعصار ، فيزيده من الكياسـة والاستبصـار بما حدث للأمم الماضية من الحوادث التى فيها عظة واعتبار [٢٩] .

ويقول عنه صاحب « اتحاف أهل الزمان » انه « يكسب الناظر برهان التجريب ، ويشحذ فكر الأديب الأريب ليقيس على ماضى مواقع الانتقـاد والرضى ويرى الأسباب وما تولد منها ، والحوادث وما نشأ عنها ، ولولاه لماتت الفضائل بموت اهلها وادى ذلك الى جهلها [٣٠] .

ويقول عنه صاحب العقيق اليمانى [٣١] « ان علم التاريخ مما تدعـو الحاجة اليه ، ويعرف به أهل كل عصر ، وعظماء كل زمان ، والعلمـاء والفصحاء فى كل أوان ، وبه تعـرف الحـوادث وأوقاتهـا ، والخلائق وصفاتها ، ويعرف المتأخر ما تقـدم من قبيح وحسن فيختار لنفسه ما أراد واستحسن » .

وهكذا يتضح مدى تطور علم التاريخ عند العرب منذ أن كان قصة تروى ، وبطولات تذكر الى أن أصبح علما له قواعده وأصوله ، وله علماؤه الذين يعرفون فوائده ومحاسنه .

---

(٢٨) انظر . عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ٢ ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ص ٢ .

(٢٩) انظر . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حـوادث وتاريخ اليمن ، القاهـرة ، ١٣٤٦ هـ ص ٣ — ٤ .

(٣٠) مجهول المؤلف : اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان جـ ١ ، الطبعة الثانية ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٦ ص ٢ .

(٣١) عبد الله الشقيرى .

الفصل الثانى

التاريخ كعلم ومنهج

اولا : التاريخ بين العلم والفن والأدب :

للعلم معنيان اذا قيل باطلاق قصد به أى فرع من فروع المعرفة البشرية ، واذا قيل بمعناه الضيق أريد به العلم الطبيعى ، فالعلم الطبيعى يطلق على كل دراسة تتناول الظواهر الجزئية أما العلوم الانسانية فتطلق على الدراسات المنهجية المنظمة التى يمضى الانسان فى دراستها مع صرف شىء من عنايته الى توخى الحقيقة ، وان يؤسس دراسته على حكم ناقد وفيما يلى نعرض لموقع التاريخ بين العلم والفن والأدب .

١ ـ التاريخ باعتباره علما :

(أ) دار نقاش طويل حول الكتابة التاريخية ومكانها بين العلم والفن والادب ، واختلف فيه المفكرون فمنهم من ذهب الى أن التاريخ علم بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ومن هؤلاء الدكتور بيورى [١] Bury الذى ذكر فى محاضرته التى القاها فى الثالث من يناير ١٩٠٣ « أن التاريخ علم لا اكثر ولا اقل » واللورد اكتون Acton الذى عرف العلم بانه « اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامة على هيئة مبدأ او قانون [٢] والاستاذ هكسلى Huxley الذى قال « افهم ان المقصود من كلمة العلم انها نوع من انواع المعرفة التى تقوم على الدليل والتدليل

---

(١) J. B. Bury (١٨٦١ ـ ١٩٢٧) اشهر مؤرخى انجلترا فى الربع الأول من القرن العشرين . عمل استاذا للتاريخ الحديث بجامعة كمبردج ، وساهم فى اصدار مجموعتى كمبردج للتاريخ القديم والوسيط .

evidence and reasoning وبمعنــى آخــر فــأن العلـــم هو « كل معرفة تقوم على الدليل والاستنباط » والدكتور الكســندر هل Alex. Hill الذى قال ان « كل معرفة معقولة فهى علم » والاســتاذ كولنجوود الذى أوضح ان « العلم بصفة عامة يتألف من تركيز الجهد فى شىء لا نعــرفه لنحاول أن نتعرف حقيقته .. وهذا هــو المعنى الذى نقصــده من قولنا أن التاريخ علم » [٣] والاستاذ كارل بيرسون Karl Pearson الذى قال « أن وظيفة العلم هى تصنيف الحقائق والتعرف على أهميتهــا سواء فى تتابعها أو بالنسبة الى بعضها البعض ، والفيلسوف الامريكى تيجــارت Teggart الذى عرف العلم بانه ليس الا البحث المنظم عن الطريقة التى تتضح فى احدى الظواهــر .

وهكذا يستند هؤلاء وغيرهم الى تعريف العلم بأنه المعــرفة المنظمة المبوبة المقننة ويدخلون فيها التاريخ .

وقد تصدى لهذا الرأى علمــاء الطبيعــة وفلاســفتها ومن هــؤلاء « جيفنز » [٤] الذى قال ان « من السخف ان نفكر فى التاريخ على أنه علم بالمعنى الصحيح » وسانده فى هذا الرأى الفيلسوف الفرنسى أوجســت كونت [٥] ، الذى يعلل الاشياء بالمشاهدة والتجارب تأييدا للفــروض كما سانده فى رأيه أيضا الاستاذ كوفمان [٦] .

---

(٢) Lord Acton (١٨٣٤ — ١٩٠٢) عملا استاذا للتاريخ الحديث بجامعة كمبردج ، وكان له فضل كبير فى تقدم علم التاريخ بانجلترا يضاف الى ذلك أنه صاحب الخطة التى اتبعت فى اصدار مجموعة كمبردج للتاريخ الحديث .

(٣) م . ج . كولنجوود : فكرة التاريخ — ترجمة محمد خليل بكر — القاهــرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١ ص ٤١ — ٤٢ .

(٤) W. S. Jevons عالم انجليزى (١٨٣٥ — ١٨٨٢) متخصص فى الاقتصاد والمنطق واشهر مؤلفاته اصــول العلم Principles of science

(٥) أوجست كونت ١٧٩٨ — ١٨٥٧ مؤسس الفلسفة الوضعية التى تعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة .

(٦) حول تفاصيل ذلك انظــر :

Koufmann : Methodology of the Social Sciences .

ويستند هؤلاء الى أسباب عديدة منها :

ا ـــ ان مادة التاريخ تختلف عن مادة العلوم من حيث كونها غير ثابتة ولا قابلة للتحديد يضاف الى ذلك أن المؤرخ لا يشاهد الحوادث أو الظواهر التى يدرسها بطريقة مباشرة ، وانه يعجز عن اخضاع الوقائع التاريخية للملاحظة والتجربة والمشاهدة والفحص ، والمعاينة وانما يعتمد فيما كتبه على النقل عن الآخرين او السماع عنهم أو الرجوع الى الوثائق التى دونها من شاهدوا هذه الحوادث أو شاركوا فيها أو سمعوا عنها ، وكثيرا ما يشوه البعض الحقائق عندما ينقلها او يسجلها ، كما أنه يحدث فى بعض المجتمعات وخلال ظروف معينة أن يقـــوم البعض بتشويه تاريخ بلده ، وأحيانا يقوم بطمس حقائقه كل هذا يجعل الفارق كبيرا بين التاريخ باعتباره علما والعلوم الأخـــرى ، ويبعده عن صفة العلم .

(ب) انه لا ينبغى أن يطلق اسم العلم على دراسة نظرية كالتاريخ الا اذا تمكن المؤرخ من الكشف عن بعض القوانين العامة التى يمكن تطبيقها على الظواهر مهما اختلفت اماكنها وأزمنتها أى أن يتوصل المـــؤرخ الى القوانين التى تمكنه من التنبؤ بالحوادث قبيل وقوعها كما يفعل علماء الأرصاد الجوية وعلماء الطبيعة وغيرهم ! ولما كان من الصعب التكهن بالمستقبل فى التاريخ واعتباره من الأمور المستحيلة وخاصة أن نصيب الناس فى توجيه التاريخ ليس بيسير ، وأن من الممكن أن تنشأ عن بعض الاحداث العرضية اليسيرة اشياء تؤدى الى نتائج غير متوقعة كفيلة بتغيير مجرى الأمور تغييرا يتعذر معه اخضاعها لقانون علمى ثابت لذلك كله لا يصح أن يكون التاريخ علما ، وانما يمكن أن يكون أقرب الى الدراسات التأملية أو الى الرياضـــة الذهنية .

(ج) أنه من الصعب على المؤرخ أو الباحث فى التاريخ أن يتجرد من اهوائه وميوله ومصالحه ، بل غالبا ما ينظـــر الى موضوع دراسته من خلال عقيدته وثقافته وعادات وتقاليد وطنه . وهذا يفقده الموضـــــوعية الخالصة ويجعل بحثه يتأثر بعوامل ذاتية على حين ان الباحث فى العلوم الطبيعية يستطيع بسهولة ويسر أن يتجرد من ميوله واهوائه فتكون نتائج بحثه موضوعية وليست ذاتية .

(د) أنه من المستحيل اخضاع الدراسات التاريخية للضبط الكمى أو تصويرها بالمعادلات الرياضية الدقيقة كما يحدث فى العلوم الطبيعية . وهذا يجعل الدقة فى نتائجها نسبية ويتعذر معه عدها علما .

(هـ) انه لا يوجد اتفاق بين المؤرخين على ما هو هام من الـوقائع وما ليس بهام .

وللرد على مجمل هذه النقاط يمكن القول ان التاريخ قد أخـذ فى التخلص الى حد كبير من طابعه القديم الذى كان يغلب عليه ، وانه بـدأ يقترب من العلوم الاستقرائية الى حد كبير ايضا . كما أن المؤرخين أصبحوا لا يتوقفـون عنـد وصف الحوادث الفردية من الوجهة الزمنية فحسب بل انهم يقومون ايضا بمحاولات للكشف عن العناصر الجوهرية فى النظـم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، كما انهم يقومون باعـداد تجارب الأمس وتحليلها للاستفادة منها فى الوقت الحالى .

وهذا يعنى أن التاريخ علم منهجى يهتم بظواهـر خاصة محددة بعينها وخاصة انه يبحث فى أحوال الناس وتجاربهم ، وتلك الأحوال والتجارب يمكن أن يفهمها المؤرخ معتمدا على قدراته العلمية ، فيستطيع ان يتمثل الماضى ويفسره تفسيرا عقليا أو نفسيا ، يضاف الى ذلك ان المؤرخين اخذوا فى تطبيق أساليب المنهج الاستقرائى فى بحوثهم ، وابرز الادلة على ذلك قيامهم بتحليل الوثائق التاريخية وتمحيصها واخضاعها للبحث كما تخضع المـادة لتجارب العلماء ، فصار علم التاريخ يعتمد على تقديم الدليل على الراى فيما جرى من احداث .

والى جانب ذلك يمكن القـول بأنـه قـد مضى الزمن الـذى كـان يعتمد فيه المؤرخون على طريقة النقل والسماع أو سرد الروايات للمتعة والاستمتاع ، بل تعدى ذلك الى الطرق العلمية ، فاصبح المؤرخ المعاصر لا يقبل الحدث الا بعد تمحيصه وغربلته ومقارنته بالروايات المعـاصرة ، ومحاولة الكشف عن العلاقات السببية التى ادت اليه ، وتفسيرها . هذا بالاضافة الى ان المؤرخ يقوم بتنقية الوثائق كما تنقى الحبوب من الحصى والقش حتى يستطيع ان يروى الحقائق بدقة وصدق ، ومن هنا فانه يجب التوسع فى مفهوم العلم حتى لا يخرج الكثير من المواد النظرية من عداد العلم . ويكفى اسناد صفة العلم الى اى موضوع يقوم الباحث بدراسـته

بطريقة يتوخى فيها الحقيقة ، ويقيم بحثه على حكم ناقد وتفسير وتحليل موضوعى .

٢ — **التاريخ باعتباره فنا (٧) :**

يرى بعض العلماء أن من الصعب أن يعد التاريخ علما ، وأن من الأوفق أن يعد فنا من الفنون وخاصة انه يقدم لنا تعبيرات وأوصافا للأحوال التى جرت فيه كما يحتاج الى خيال الشاعر وبراعة الكاتب حتى يبعث الحياة فى عظام الأحداث التاريخية اليابسة المجردة ويضعها فى ثوبها اللائق بها (٨) وخاصة اذا لاحظنا أن الوثائق التاريخية لا تعطينا صورة سينمائية عن الحوادث التاريخية ، وانما هى صور متناثرة بين بعضها وبعض كثير من عدم الارتباط والجفاف والاختلال والنقص ، وعمل المؤرخ الاساسى هو اكمال كل نقص وسد كل ثغرة فى الوثائق التاريخية ، ومن هنا كان التاريخ — الى حد كبير — يقوم على الفن ، وعلى موهبة المؤرخ الخاصة التى يستطيع بها تشييد واحياء الماضى بكل ما كان عليه (٩) وملء كل الثغرات الفارغة واعطاء المضمونات لكل القوالب الجوفاء بحيث يصبح لها الاثر الفعال فى عالمنا المعاصر .

وفى الحقيقة أن هذا الرأى مع وجاهته يصعب الاتفاق معه حول انتفاء صفة العلمية عن التاريخ وخاصة ان احدى الوظائف الاساسية للتاريخ هى الانصاف .

حقيقة أن الكتابة التاريخية يمكن أن تتأثر بثقافة المؤرخ وحسه ، وشخصيته ، ولكن هذا لا يمكن أن يصل به الى الابتعاد عن ابراز الحقيقة التى هى احدى سمات العلم الرئيسية ، والهدف الأسمى الذى يسعى من أجله المؤرخون ، فطبيعة البحث العلمى تتطلب الموضوعية وهذا يصعب تحققه فى الفن .

(٧) ظلت كلمة فن فى العصور الوسطى تعنى الحرفة أو الصنعة ثم تبدلت فى عصر النهضة وأصبحت تعنى الفنون الجميلة .

(٨) هرنشو : علم التاريخ — ترجمة عبد الحميد العبادى ، القاهرة، لجنة التاليف والترجمة ١٩٣٧ ص ٤ .

(٩) د. عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ ص ٢١٩ .

والخلاصة انه اذا كان الفن لا يخلو من الفكر ، ولا يمكن أن يخلو منه اذا كان فنا انسانيا يعبر عن الشخصية الانسانية التى يحاول المؤرخ أن يدرس أدوارها فان وظيفة الفنان تختلف عن وظيفة المؤرخ فى الكثير من الأمور ، وان كانت تتفق معها فى بعضها ، فالفنان يقوم بتوصيل العواطف الى الآخرين اعنى انه الجسر الذى تعبر عليه العاطفة ، ومن هنا فان ذاتية الفنان تطغى دائما على موضوعية البحث العلمى .

٣ — التاريخ باعتباره أدبا :

يرى أصحاب هذا الرأى أن التاريخ لا يستطيع أن يعتمد على مناهج البحث العلمى الخالص وحدها ، وانما هو مضطر الى تحرى جمال الأسلوب وبث روح المؤرخ الشخصية فى بحثه والتأثير فى الناس بمأثور الكلام،والتعبير عن أفكارهم وعواطفهم وأمانيهم عن طريق كتابة القصص والروايات عنهم ثم صهرها وصبها فى قالب أدبى جذاب . هذا الى جانب ان تاريخ الشعوب ذو علاقة بالأدب الذى يعد بمثابة مرآة للعصر ، ودفة السفينة بالنسبة له ، وان المؤرخ لا يمكنه أن ينتج عملا ذا قيمة الا اذا كان مرهف الاحساس قوى العاطفة حتى يستطيع أن يدرك عواطف الآخرين . وفى الحقيقة ان هذا الاتجاه صحيح الى حد ما فالأدب المصرى القديم مثلا يساعد الباحث على فهم نواح عديدة من الحياة المصرية القديمة ، والتاريخ الايطالى خلال عصر النهضة يصعب فهمه دون الرجوع الى آثار دانتى الأدبية ، ومع ذلك فان تأكيد الصفة العلمية للتاريخ تحظى بالاهتمام الأول حتى صار الابتعاد عن السجع والألفاظ الغريبة والمعانى المبتذلة التى تستعمل للزينة من سمات المؤرخين المعاصرين ، هذا الى جانب أن وظيفة المؤرخ الأولى تنحصر فى تمحيص الأحداث وربطها وتحليلها وان يكن ذلك فى أسلوب أدبى جميل . ومع كل ذلك يمكن القول بأن المؤرخ الناجح هو الذى يجمع بين العلم الخالص والذوق الأدبى الرفيع فيمكنه ان يتذوق الشعر ليتفهم ملكة الابتكار والابداع عند الشعراء ، ويلم بمذاهب النقد الأدبى وآثار الأدباء لكن دون ان يتخلى عن منهج المؤرخ الذى يبحث عن الحقيقة قبل كل شىء ، وخاصة ان صب التاريخ فى قوالب علمية جافة قد يكون عقيما وجديا . ولكى تتضح الصورة حول هذا الموضوع المهم نذكر أن مرحلة التأليف التأريخى تتكون من سلسلة

حلقات تبدأ برغبة أولية لدى الباحث فى اختيار موضوع معين ، ثم يبدأ فى البحثعن المصادر المتعلقة بموضوعه ثم تتلو عملية جمع المصادر عمليـة النقد والتمحيص لها وهى أشبه شىء بعمل القاضى الذى يأتى بالشـهود والرواة فيستنطقهم ، ويدقق فى شهاداتهم ، ويحقق فى افادتهم ثم يستند الى نتيجة عمله وتحقيقه فى الحكم على العصر الذى يدرسه .

وهذه الأحكام التى يطلقها المؤرخ على الحوادث هى الحقائق المفردة التى تتبين له من الماضى ، وهى أشبه شىء بالحجارة المتفرقة التى تحتاج الى جمع ورصف وتركيب ليكون البناء متكاملا ، ولكن كثيرا ما يكون بعض هذه الحجارة مفقودا بسبب ضياع الوثائق فتظهـر فجوات تدفع المؤرخ الى الاجتهاد والقياس لسدها ، لذلك يجب أن يتصف بالحذر وتجنب الخيال والتكهن الذى يبعد الباحث عن استخراج حقيقة الماضى بكليتها وجزئياتها

أما المرحلة الأخيرة من العمل التأريخى فهى مرحلة ادبية فنية يلجأ اليها المؤرخ عندما يعمد الى عرض ما توصل اليه ونشره بين الناس ، وهنـا تتجلى ملكة المؤرخ فى حسن الأداء ، وروعة التعبير . ومعنى ذلك أن التأريخ علم من حيث تحقيقه ، وفلسفة من حيث ما يحاول من تفهـم كلى وربط للأحداث وتعليل للاسباب والنتائج ، كما أنه أدب وفن من حيث العرض والأداء والبيان . وهذا لا يعنى أن صفة التأريخ الأدبية أو الفنية يجب أن تتجاوز صفته العلمية أو تسلبها فالمؤرخ المتميز هو الذى يعرف كيف يكسو العلم الدقيق بالاسلوب الأدبى الرفيع والذوق الفنى المتميز [١٠] .

والخلاصة أن التاريخ علم له أصوله وقوانينه ومناهجه الوصـفية والتحليلية التى تقوم على البحث والتمحيص والحصول على الدليل ونبذ ما يدعو الى الشك أو التشكيك حقيقة أنه ليس علما يقوم على الملاحظة مثل الفلك أو على التجارب مثل الكيمياء وانما يقوم على النقد لذلك فهـو علم ينسجم بطبيعته الانسانية مع العلوم الاجتماعية الأخـرى . وان هذا العلم يمكن معالجته بشىء من الذوق الأدبى ، والأسلوب الفنى بشرط الا يؤثر ذلك فى ابراز الحقيقة التى هى أساس التاريخ وجوهره .

---

(١٠) قسطنطين زريق : المرجع السابق ص ٦٩ .

ثانيا : المنهج الاستردادى فى التاريخ :

الوقائع التاريخية تحدث مرة واحدة ولا تتكرر فى حين يتكون العلم من حقائق قابلة للتكرار ، ويرجع ذلك الى أن التاريخ يقوم على الزمان الذى يتميز بعدم القابلية للاعادة أو التراجع ، وخاصة أن صانعى أحداثه يموتون ، وازمانهم تتغير أى : انه لا يرد للحاضر شىء قد حدث فى الماضى وانه لا يمكن التوصل الى قوانين ثابتة تحكم حركة التاريخ . فمهمة علم التاريخ تقوم بوظيفة مضادة لفعل التاريخ هى انه يحاول أن يسترد ما كان فى الزمان لا ليتحقق فعليا فى مجرى الأحداث بل يحاول أن يستعيد فى الذهن شكلا من داخل عمق الماضى حدث فى مجرى الزمان . وأن يتصور مجرى هذه الأحداث وخاصة أن التاريخ الحق هو ذلك الذى يستطيع احياء تجارب الماضى ، ويربط بين ظواهره المختلفة كما حدثت ولكن فى نوع من التخيل غير المبتدع ، ولكنه التخيل الذى يقوم على أساس ما خلفته الأحداث الماضية من آثار [١١] . وخاصة ان ما كان لا يمكن أن يسترد بأى حال أو تعاد أحداثه دائما فى صورة مطابقة وانما يمكن أن يستعاد نظريا بنوع من التركيب ابتداء مما خلفه من وقائع يكون قد دونها على الآثار أو الوثائق فيستعين بها الذهن أحيانا والخيال المبتدع احيانا أخرى . وفى تاريخنا ذخيرة من الأحداث الجسام التى تمدنا بالعبر والعظات .

وقد أوحى القرآن الكريم ، كما أوحت الأحاديث النبوية الشريفة بفحوى وأسس المنهج الاستردادى ، وبالأسلوب القصصى ، وبالاخبار عن أحوال الأمم السالفة ، وقصصهم مع الأنبياء قال تعالى « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ، وقد آتيناك من لدنا ذكرا » [١٢] ، وقال أيضا « ذلك من

---

(١١) عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ص ١٨٣ .

(١٢) سورة طه : الآية ٩٩ .

أنباء الغيب نوحيه اليك » [13] ، وقال أيضا « ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » [14] .

وقد عززت السيرة النبوية أيضا بلورة أسلوب الاسترداد فى النقد التاريخى لذلك ، فان الاهتمام بدراسة الاحاديث النبوية والقواعد المتبعة التدقيق فى درجة صحتها جعل المؤرخين المسلمين يطبقون عليها المنهج الاستردادى فى رواية الحديث ، ودراسة السنة ، وطبقات الرواة ، وصفاتهم حتى يتأكدوا من مقدار صحة الرواية .

ثالثا : موضوعات التاريخ :

يتكون التاريخ من ملايين الحوادث الخاصة بالمجتمعات ، والمجتمع بحركاته ومنازعاته واخطائه ومآثره وافراده تتبوأ السياسة فيه مركزا كبيرا فالسياسة تتألف من سلوك الناس العام بين الجماعات .

وعلى هذا كان التاريخ السياسى هو العمود الفقرى للتاريخ كما أثبت التاريخ الاقتصادى والاجتماعى حقهما فى تبوء مكانة سامية .

وبما ان التاريخ السياسى هو سجل للاحداث العامة فان تاريخ حياة الزعماء الذين شاركوا فيها والذين كثيرا ما صنعوها هو نهج يمهد لدراسة تلك الاحداث . كما أن التاريخ الاقتصادى يعرفنا كيف يحصل مجتمع على رزقه

فيعنى بالطرق والوسائل التى بها يكسب المجتمع رزقه حيث ان مجاله دراسة نظام الأرض وأساليب الزراعة والصناعة والتجارة ثم أعمال المجتمع ومنظماته المالية ومواصلاته وظروف العمل وطرق تنظيمه .

وبمعنى آخر يمكن القول أن التاريخ الاقتصادى هو تاريخ النشاط الانسانى أى استفادة الانسان من بيئته يستخدمها فى معاشه وفى توفير المطالب المادية التى ترتبط بذلك المعاش .

---

(١٣) سورة يوسف : الآية ١٠٢ .

(١٤) سورة الأنعام : الآية ٤٢ .

أما التاريخ الاجتماعى فيشمل العلاقات الانسانية والاقتصادية بين بعض الطبقات المختلفة وبعضها وطبيعة حياة الأسرة والحياة المنزلية وظروف العمل والفراغ وموقف الناس من الطبيعة وثقافة كل عصر من حيث الأدب والموسيقى والعلم والفكر .

ويمكن اجمالا القول انه بدون التاريخ الاجتماعى يصبح التاريخ الاقتصادى عقيما والتاريخ السياسى غير قابل للاستيعاب(١٥) .

وعلى كل حال فانه مازالت كثير من الحوادث التاريخية غامضة لدينا وذلك لأنها لم تدون فى وقتها او انها دونت وفقدت وثائقها . يضاف الى ذلك ان تسجيل التاريخ يقتصر على الدمار والنكبات أما أخبار السلم والطمأنينة فلم يسجل الكثير منه مما جعل التاريخ يظهر فى صورة مجموعة صور جرائم وكوارث ليس الا ، تثيرها خرافات سخيفة وعادات جهوله .

رابعا : فلسفة التاريخ :

اختلفت الآراء حول العوامل المؤثرة فى تكوين التاريخ وتوجيهه فماركس يقول بتفسير التاريخ الاقتصادى وفردريك رتزل بتفسيره الجغرافى وهيجل بتفسيره العقلى وهناك من يفسره لاهوتيا ولكل من هذه المذاهب اقوال تؤيده واخرى تزيفه أو تقلل من شأنه .

يذكر ماركس أن العامل الأساسى فى التاريخ فى كل زمن هو العامل الاقتصادى فطرائق الانتاج والتوزيع وقسمة الثروة واستهلاكها وعلاقة العامل بمستخدمه ، والحرب بين طبقات الفقراء والاغنياء هذه هى الشئون التى تعين فى النهاية كل وجوه الحياة دينية وادبية وفلسفية وعلمية واخلاقية وفنية فشئون الانتاج هى نسيج المجتمع الاقتصادى وهى الاساس الصحيح الذى عليه يشاد بناء المجتمع واليه تنسب صور الشعور الاجتماعى المقررة .

---

(١٥) راوس : التاريخ أثره وفائدته — ترجمة مجد الدين حفنى ناصف القاهرة سلسلة الالف كتاب ص : ٦٠ — ٦٨ .

ولا يقسم ماركس التاريخ الى قديم ووسيط وحديث بل يقسمه الى عصر الراعى وعصر الصيد ، وعصر الزراعة ، وعصر الصناعة اليدوية وعصر الصناعة الآلية كما أنه يغزو كل الحوادث الكبرى التى حدثت فى العـالم الى العوامل الاقتصادية .

اما عن أصحاب نظرية تفسير التاريخ جغرافيا فيرون أن مقدار المطـر يحدد مصير الأمم وان الجفاف يؤدى الى الهجرات وان الهجرات والفتوحات وقيام الامبراطوريات وانحطاطها يعود الى دورات الكلف الشمسية ، كما أن للانهار تأثيرا فى اقامة التمدن على ضفافها وان صعوبة الحياة فى المناطق الاستوائية واعتدال الحرارة فى الاقاليم المعتدلة وانتشار البرودة فى مناطق الشمال لها تأثير على العمل والميل للثقافة والفن أو ما شاكل ذلك .

وهناك رأى بتفسير التاريخ انثروبولوجيا فيرى اصحابه اهمية انواع السلالات فى تفسير التاريخ فيعزون العبقرية الى الوراثة ، ويرى بعضهم ان الالمان اعظم شعب متمدين عرفه التاريخ ، بينما يـرى البعض الآخر بأنه لا يوجد جنس تام النقاوة بل قد مازج كل دم أصول جمه .

ويذكر هيجل ان عامل العقل الانسانى من أهم العوامل المكونة للتاريخ فالتاريخ هو تاريخ الاختراعات ، كما ان وراء التغيرات الاقتصادية تغيرات ميكانيكية ووراء هذه تقدم العلم الطبيعى وما يتبعه من تفكير العالم المتميز ، وقد لا يكون عظماء الرجال أسباب الحوادث كالحروب مثلا ولكنهم ولا ريب اثبات الاختراعات والاكتشافات التى تعيد بناء العالم ، ويرى أن للتاريخ ثلاث أدوار .

١ — الدور الشرقى .

٢ — الدور اليونانى والرومانى .

٣ — الدور الحديث .

أما عن تفسير التاريخ لاهوتيا فيقول اصحابه :

ان التاريخ هو رواية ارادة الله المقدسة ، وكل حادث فيه هو درس تمليه السماء على الناس وان التاريخ هو مظهر العناية الالهية .

خامسا : التاريخ بين الموضوعية والذاتية :

الموضوعية فى العلم تعنى النزاهة فى القصد ، والتجرد من العواطف الذاتية ، والتحيز الشخصى ، والدقة فى فحص القضايا المطروحة والأمانة العقلية والاستنتاج السليم ، والقدرة على تخير البدائل الممكنة للتفسير ، والشجاعة فى متابعة الحجة الى نتائجها المنطقية التى تعبر عن الحقيقة . اما عن الذاتية فتعنى انعكاس ذاتية المؤرخ وأيديولوجيته ، وانتماءاته الفكرية والعقائدية على تقييمه لفترة تاريخية معينة ، وطغيان ذلك على عملية الكتابة التاريخية دون الالتزام بالموضوعية أو التثبت من صحة الوثائق التى ينقل عنها ، والعلم يرفض ذلك ويعده أشبه بمحرمات الدين وعلى الرغم من الحيدة العلمية ، والدعوى الى عدم التحيز التى تتردد على السنة المؤرخين ، فاننا نرى أن آراء المؤرخين فى بعض الأحيان تختلف حول الموضوع التاريخى الواحد ، وتصطبغ بكثير من الألوان ، ويروى بعدة أشكال يجتمع فيها الأبيض والأسود فى آن واحد اذ ينظر أحدهم اليه من زاوية خاصة قد تختلف فى تفسيرها عن رأى آخر ، وقد يتفقون فى كثير من الأحيان حول بعض القضايا الرئيسية وان اختلفت بعض تفسيراتهم ، وهذا فى حد ذاته دليل واضح على وجود العنصر الذاتى فى التفكير التاريخى . يضاف الى ذلك أن الدراسات التاريخية غالبا ما تكون موضع تعديل وتبديل وخاصة اذا ظهرت وثائق تحوى معلومات جديدة قد تقلب الأمور رأسا على عقب ، وتغير افكارا ربما توارثها الآباء عن الأجداد ، والأبناء عن الآباء وهذا يعنى أن الموضوعية فى الدراسة التاريخية تختلف عنها فى العلوم الطبيعية التى تتميز غالبا بالثبات فنتائج العلوم الطبيعية ثابتة فى عصور معينة ، وان كانت قوانين الطبيعة أحيانا ما تكون نسبية ومتطورة ، أى أن العالم الطبيعى لا يستقيم بدون حتمية Determinism تجعل ظواهره ضرورية محتمة الوقوع ، فى حين يتدخل فى الدراسات التاريخية عوامل كثيرة ومتشابكة .

ويرجع اختلاف وجهات نظر المؤرخين حول الموضوع الواحد الى اختلاف الثقافة والميول وتعدد القوميات والأديان ، والى جو الحرية الذى يعيش فيه كل منهم والى البيئة التى تؤثر فى افكارهم ، والى اختلاف

الخبرات بينهم ، والى القوى الاجتماعية التى ينتمى اليها كل منهم هذا الى جانب روح العصر الذى كتب فيه المؤرخ الحادثة . فمما لاشك فيه ان كل هذه العوامل تتدخل فى تحديد أهمية الظاهــرة التاريخية أو عدم أهميتها بالنسبة للمؤرخ ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك :

١ — عندما منع بونابرت الحجاج المصريين من السفر الى مكة لأداء فريضة الحج خلال الاحتلال الفرنسى لمصر ١٧٩٨ م رأى المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى أن ماجد جد خطير اذ لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، وأن أركان الدنيا اهتزت لهذا الأمر لذلك يجب أن تعد السنة التى حدث فيها ذلك العمل من السنوات المشهودة فى التاريخ على حين نجد المؤرخ الانجليزى « أرنولد توينبى » يرى أن ما حدث ليس الا حادثة محلية لا تستحق هذه الضجة وخاصة أنها لم يكن لها سوى تأثير محدود اقتصر على حدود البلدان الاسلامية . وهذا يعنى أن كلا من المؤرخين لم يتحرر من عقيدته ، وقيمه ، وعاداته فالمؤرخ المسلم يرى فيما حدث أمرا خطيرا لأنه يمس عقيدته وقيمه على حين عد المؤرخ غير المسلم ماحدث مجرد أمر عادى لا يستحق كل هذه الضجة .

٢ — لايتوقع صاحب أى ثقافة ان يقوم المؤرخ الراسمالى بتفســير التــاريخ تفســيرا اشتراكيا ، ولا من المؤرخ الاشــتراكى ان يفسر التاريخ تفسيرا رأسماليا لأن ذلك معناه الوقوف ضد النظرة التى تفرضها مصالح كل منهما الذاتية ، ومن هنا نجد كلا منهما يدافع عن وجهة نظره ، ويقيم عليها احيانا تحليلاته المتميزة بما تنطوى عليه من توجيه والتزام وتجاوز قد يخرج المؤرخ فى معظم الأحيان عن الموضوعية فتتصادم افكاره المفترض أنها علمية مع الحقيقة التى هى الهدف المنشود للعلم ، وعلى سبيل المثال نذكر أن المؤرخ الراسمالى يرى أن الاستعمار كان الطريق الأمثل لتحقيق تقدم شعوب المستعمرات ، وان مسيرة التقدم هى رسالة الغرب التاريخية ، فى حين يركز المؤرخ الاشتراكى على النهب والاستغلال والسيطرة الوحشية التى اتبعتها الدول الاستعمارية فى مستعمراتها ، كما أن المؤرخ الراسمالى يردد دائما فى كتاباته المفهومات المثالية الافتراضية ، ودور الصفوة فى رخاء المجتمع ، على حين نجد المادية التاريخية تلعب دورا حاسما فى فكر المؤرخ

الإشتراكى ، فيرى ان الصراع الطبقى هو العامل الأول والحاسم فى حركة التاريخ .

٣ — المؤرخ فى بعض المجتمعات الشرقية يدافع عن حجاب المراة وعدم اختلاطها بالرجال حرصا على عفافها ، على حين نجد المؤرخ الأوربى يرى عكس ذلك ، ويعد خروج المراة الى المنتديات والحفلات وأماكن اللهو من سمات التحضر والحرية .

٤ — المؤرخون فى المجتمع الواحد قد يختلفون فى تقييم حادثة محددة أو شخصية معينة طبقا لانتماءات كل منهم وعلى سبيل المثال نذكر أن تقييم دور الزعيم المصرى سعد زغلول ظل موضع نقاش وجدل شديدين بين المؤرخين والباحثين المصريين فمنهم من هاجمه بشدة ، ومنهم من كان شديد الاعجاب به وبدوره فى الحياة السياسية المصرية ، وتحول الأمر الى استخدام التاريخ لتصفية حسابات سياسية ، وهذا يجعلنا نتساءل أما يزال تاريخ مصر المعاصر بعيدا عن الالتزام والموضوعية ؟ وهل تفتقد المعايير المحددة لحركة التاريخ فى بلادنا ؟

لقد اكدت ذلك مناقشات « ندوة الالتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ — ١٩٥٢ » التى عقدت بالقاهرة فى الفترة من ٣١ اغسطس الى ٣ سبتمبر ١٩٨٧ ، كما اكدت أن افتقادنا لتلك المعايير أدى الى مضاعفة مانعانيه من بلبلة وتمزق فى الكثير من قضايانا . والسؤال هو : لمصلحة من هذا الاستخفاف بقضايا مصر التاريخية ، واهتزاز صورة المؤرخ المصرى ؟

نأمل أن يكف اولئك الكتاب والباحثين عن استخدام التاريخ لتصفية حسابات سياسية حتى لا يتحول التاريخ من الموضوعية الى الذاتية ، وتصير مسألة التزام المؤرخ بالبحث عن الحقيقة شديدة التعقيد ، وتصير الحيدة التامة فى دراسة التاريخ أمرا يصعب تحقيقه . لذلك فان واجب المؤرخ تفادى الجانب الذاتى أو الشخصى والاتجاه بقدر الامكان الى البحث عن الحقيقة المجردة الخالية من كل أشكال التحيز أو التعصب ، فمن السفه تحقير معتقدات الآخرين أو السخرية منها ، ومن الخير أن تتسع آفاق المؤرخ

ليرى وطنه جزءا من عالم يتأثر به ويؤثر فيه . ونتيجة لذلك فانه يمكن حصر الموضوعية لدى المؤرخ فى أمور عدة منها :

١ — تجنب الوقوع فى الأحكام السطحية ، ومحاولة ادراك الماضى كما كان لاكما نتوهم أنه كان ، أو كما يريده أن يكون .

٢ — البحث عن الأسانيد الصادقة غير المتحيزة وتتبع افكارها ومعانيها بصدق وموضـــوعية ، وكشـــف التشويه والتـــزييف الحـــادث فى بعض الموضوعات التاريخية .

٣ — المقارنة بين وجهات النظـــر المختلفة للمؤرخين الذين عالجوا موضوعا بعينه للاسهام فى بناء جسور اتفاق بين هذه الآراء والحقيقة ، فذلك هو الذى يفرق بين الدراسات التاريخية الجيدة والمؤلفات الأخـــرى التى يقوم بها صحفيون أو كتاب حزبيون أو ممن لهم اتجاهات أو مواقف فكرية معينة [١٦] وهذا مما يضفى على التاريخ صفة العلمية ، ويثبت أنه علم ولكنه ليس كالعلوم التجريبية التى تقوم على حتمية الوقوع بل هـــو علم تحليلى يقوم على تفسير الأحداث التاريخية وتوصيفها وتصنيفها دون السعى لوضع قانون ثابت لتفسير بعض ظواهرها ، وخاصة ان العنصر البشرى هو المقوم الأساسى لتقويم هذه الأحداث ، ولابد لنا من االلجوء الى العلوم التى تكشف لنا عن قوانين الطبيعة البشرية لكى تستعين بها على تفسير الأحداث التاريخية .

ومع كل ذلك فلا يمكن أن ينكر أحد أن الذاتية قائمة فى جذور التاريخ لانه فى تكوينه ليس الا علم التجارب البشرية والمعارف الانسانية خاصـــة وان المؤرخ يعود غالبا الى نفسه بعكس العلوم الطبيعية التى هى دوما بمثابة الخروج المستمر من الذات والحياد المطلق المرتبط بقوانين متفق عليها. ومع ذلك فان أحدا لا يستطيع أن ينكر ان الموضوعية والمنهجية يعدان من الشروط الأساسية للمؤرخ الحقيقى .

---

(16) Walsh : An Introduction to Philosophy of History, London, 1947, p. 104 .

سادسا : الهدف من دراسة التاريخ :

الهدف من دراسة التاريخ هى معــرفة الانسان بنفسه :

وقيمة التاريخ ترجع الى انه يحيطنا علما بأعمال الانسان فى الماضى وبحقيقــة هــذا الانسان [١٧] كما انه يعين على تفهم الأحداث العالمية . وشــؤون العصر ومتجهاته يضــاف الى ذلك انه لا يتناول حياة العظماء من الافراد وحسب بل هو « يتكون من رواسب حياة ملايين من الرجال والنساء الذين تقل أهميتهم والذين لم يخلفــوا اســما بل قدمــوا فقط حصــة من المشاركة [١٨] » .

ان التاريخ يهيىء للانسان مجالات من التجارب واسعة يستطيع أن يبنى عليها احكامه ، ولعلها فى الواقع كل التجارب البشرية التى نسمع بها ولقد عبر عن ذلك أحد المؤرخين بقوله « التاريخ هو السياسة الماضــية والسياسة هى التاريخ الحاضر [١٩] » وكلما اتسعت قراءاتنا التاريخيــة ونضج حكمنا على الأحداث وقفنا على منجزات عظيمة واخطاء جسيمة مما يوسع دائرة معلوماتنا الى حد كبير ، ويمدنا بمادة موفورة لتحليل الدوافع أو البواعث .

ان التاريخ يجعلنا نفهم الحاضر من حيث أنه يفسر أصول الوضــــع الحاضر للأمور كما أنه أداة للثقافة العقلية [٢٠] ، فقيمته اذن تنحصر فى تنوير حاضرنا ومساعدتنا على السير فى رحاب المستقبل .

---

(١٧) كولنجوود : المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٨) راوس : المرجع السابق ص ١٥ .

(١٩) راوس ص ١٦ .

(٢٠) لانجلو اسينبوبوس : المدخل الى الدراسات التاريخية — ترجمة عبد الرحمن بدوى ، الكويت ، وكالة المطبوعات ص ٢٥٠ .

الفصل الثالث

صفات المؤرخ

يحلو للكثيرين من المثقفين الكتابة فى التاريخ ، والغوص فى أعماقه ، وهذا أمر محمود ، ولكنه لا يعنى أن كل من يحاول الكتابة فى التاريخ يصبح مؤرخا بل لابد أن يتوافــر فيمن يكتب التاريخ من الصفات والاستعدادات والظروف ما يجعله قادرا على ذلك العمل وأهم الصفات التى يجب توافرها فى المؤرخ هى :

١ ــ أن يكون أمينا فى عرض الموضوع ، صلبا فى اظهار الحقيقة اينما وجدت ، حازما شجاعا فى التعبير عن رأيه مخلصا فى عمله ، موضوعيا لا يتملق احدا ، ولا يتحامل على أحد دون وجه حق ، ولا يجامل ولا ينحيز أو يداهن أو يسلك مسلك الدعاية لأحد ، بل يكون هدفه الأساسى اظهار الوقائع والحقائق التى تتوفر لديه ودراستها وتحليلها وتفسير بواعثهــــا بغرض الوصول الى جوهر الحقيقة التاريخية وحدها اذ لا يــوجد رقيب عليه غير ضميره اليقظ ، وخاصة ان تاريخا تمليه الاهواء لا يعدو أن يكون صحيفة تدليس ، وليس شىء اكثر افسادا للتاريخ من التدليس فيه . وأن من يحرف نصا أو ينسبه لغير صاحبه أو يقوم باستخراج ما يلائم هــواه أو غرضه منه لمسانده حاكم ، أو الخوف من ظلم يقع عليه يدخل فى زمرة من يخلط الصواب بالخطأ ولا يدخل فى عداد المؤرخين فالناس فى حاجــة الى معرفة الحق اكثر من حاجتهم الى غوغائى أو منافق يكذب عليهم ، كما أن التاريخ ليس اسطورة لامتناع النفوس ، ولا قص حكايات ، أو رواية روايات ولا هو طرائف يتندر بها بين الناس ، بل هو الحقيقة بحلوها ومرها ، كما أن دراسته تقتضى الموضوعية المجردة البعيدة عن المبالغة والتحيز ، فليس من المنطقى أن يغض المؤرخ الطرف عن حقيقة معينة مجاملة لأحــد من الناس اذا كانت الشواهد تدعمها أو الوثائق تؤيدها ولا أن يلبس أحدا

ثوبا من نسيج خياله وهو فى الحقيقة ليس له ، وخاصة أن أساس التاريخ هو الصدق ، وكل مؤرخ يكتمه أو يطوى بعضه أو يدخل فيه مالا يعتقد فى صحته هو غير جدير بالثقة ، ومثله كمثل المصور الذى يحرص على اخفاء عيوب من يصوره ، واذا كان ذلك جائزا لدى الرسام أو المصور أو الصحفى فهو غير جائز للمؤرخ .

٢ — أن يكــون محبا للدرس جلدا صبورا ، متجشــما للصــعاب لاستجلاء الجوانب الغامضة وما اغفلته المصادر ، وان يكون مخلصــا فى رســالته يتحــرى مصادر التاريخ ووثائقه عن هواية ورغبة وطمــوح وحب للتحصيل لا تمنعه المصاعب او تبعده مصالحه الخاصة عن مزاولة عمله ، بل يجب أن يهب نفسه للدراسة التاريخية ، ويقوم بترميم ماضى الانسانية فى صمت بقدر استطاعته ، ويفنى ذاتــه من أجــل البحث عن الحقيقة بتمهل ودون تعجل وخاصة أن كتابة البحوث ليست بالأمر الهين بل هى فى حاجة الى جلد ومثابرة ، وفحص وتحليل دقيقين لسجلات الماضى ومخلفاته او ما يطلق عليه المنهج التاريخى Historical Method

كما أنها تتطلب التعايش مع الموضوع كله ومع أجزائه كى يتمكن الباحث من تأسيس أحكامه بطريقة سليمة .

٣ — أن تتوفر لديه ملكة النقد والتحليل والفحص والاستقراء والقدرة على الموازنة والمقارنة بين المصادر وان يكون ذا عقل واع وافق واســع وفكر منظم لا يصدق كل ما يقراه أو يسمعه ، ولا يقبله على أنه مسلمات بل عليه أن يستقرىء الحوادث ويرتبها ويربط بينها بغير أن تختلط الحوادث أمامه أو يطغى على عمله أسلوب السرد أو النقل والاقتباس من الآخرين، وأن يبتعد عن السجع والألفاظ الغريبة والمعانى المبتذلة التى تســـتعمل للزينة ، وأن ينشد ضالته فى مصادرها ومظان وجودها . ومن لا يتصف بهذه الأمور لن يستطيع ان يميز بين الصحيح وغيره ، ولا يستطيع الحكم على ما بين يديه ، ولا يزيد ما يكتبه على كونه مجرد معلومات موضوعة بين دفاف كتب غير جديرة بأسماء أصحابها ، وخاصة أن القدرة على الابــداع والتنسيق بين الأفكار فى أسلوب علمى سليم ، وتعبير واضح هو قــوام البحث وعموده ، كما أن استخدام التعبيرات والمصطلحات او الأســـماء

الخاصة بأهل المنطقة أو الدولة موضوع الدراسة ضرورة هامة فى كتابة البحث .

٤ — أن يتسم فكر المؤلف بالذوق والتسامح وسعة الأفق والعقلية المتفتحة الواعية ، وأن يميز بين المعارف والحقائق ، وان تكون الحياة كلها خامة غنية لكتاباته وان يفهم بقدر المستطاع الدوافع التى حركت أحوال الأمم والقادة ويستوعب الأمور التى دفعتهم لاتخاذ سلوك معين من واقع أحوالهم ، ولا يجزم بأمر من الأمور اذا كان ذلك الأمر يحتمل قولين ، بل عليه الاحتياط فى القول .

٥ — أن يتميز برحابة الصدر ، وتقبل ما يعرف من آراء مخالفيه تحريا للحقيقة أيا كان مصدرها وقبولا للحق ممن اتى به أيا كان شأنه .

٦ — أن تكون لديه الخبرة الكافية التى تجعله اقدر على فهم أعمال الانسان فى الزمن الماضى ، وتقدير الظروف التى احاطت به ، والتى أدت الى اتخاذه مسالك معينة فى مواجهة تيارات او مؤثرات محددة ، وهذا يعنى ضرورة معرفته بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تتصل بالعصر الذى يؤرخ له ، والمقارنة بينه وبين العصر الذى يعيشه .

٧ — أن يكون مغرمابالارتحال والسفر خارج وطنه وداخله فى سبيل البحث التاريخى حتى تتفتح أمامه الآفاق ويتعرف على خبرات الآخرين ، ويستطيع مشاهدة مواقع الأحداث التى يتعرض لها عن قرب .

٨ — الا يتأثر فى كتاباته بالمؤثرات الحزبية والسياسية أو بما يعتنق من نظريات وقيم جمالية واخلاقية وسياسية أو بالظروف الاجتماعية ، والطابع الشخصى بقدر المستطاع فالمؤرخ الذى يتميز بالأمانة الفكرية وان كان ينتمى الى حزب معين او الى وطن معين أو الى طبقة معينة يستطيع أن يحجب ميوله الكامنة حتى يبلغ اكبر درجة من عدم التحيز ، فاذا قام بتحليل وثيقة أو نص معين فعليه أن يحمل فى ذهنه سؤالا او مجموعة من الأسئلة توصله الى الحقيقة دون أن يربط نفسه باتجاه معين ومع أننا لا ننكر أن من العسير أن يتجرد المؤرخ من ذاته أو لعواطفه الوطنية

أو لطبقته الاجتماعية او للجو الحضارى الذى عاش فيه ، فاننا نرى أن الاقتراب من الموضوعية ، وتمكن المؤرخ من تقمص شخصية موضوعه ، والبعد عن كل افتراض سابق ، والالتزام بمناهج البحث العلمى الصحيح ، كل هذا يفرق بين المؤرخ الجيد وغيره ، ويجعل دراسته اكثر علمية وموضوعية .

٩ — الا ينصب المؤرخ نفسه قاضيا يعيد محاكمة الأشخاص الذين سبق أن صدرت عليهم احكام معاصريهم ويوزع أحكام الاستحسان او الاستهجان هنا وهناك وخاصة أن العدالة فى الأحكام التاريخية لا تتحقق بسهولة ، كما أن هذه الطريقة يمكن أن تقلب الدراسات التاريخية الى اسلوب من أساليب الدعاية[١] .

١٠ — أن يكون ملما ببعض اللغات لتعينه على تفهم الموضوعات التاريخية التى تدخل ضمن نطاق تخصصه ، وتفتح أمامه آفاق البحث والاستقصاء ، والمقارنة .

١١ — أن يكون واسع الثقافة ، ملما بأحداث مجتمعه ، متفهما للمدارس التاريخية المختلفة ، وعارفا بالعلوم المساعدة التى تعينه على تفهم دراسة التاريخ وكتابته ، ولا يكتفى بترديد آراء السلف بل يجب أن يضيف اليها .

١٢ — أن يكون متواضعا ، ولا يدعى المعرفة بكل شىء بل يرجع الى مصادره كلما التبس عليه الأمر للتحقق من معلوماته ، ويعيد النظر فيما كتبه كلما عن له جديد أو ظهر شىء فى كتاباته يستحق اعادة النظر ، فينقد ما كتبه ويصحح ما يجده فى حاجة الى تصحيح ، وقد فعل ذلك المؤرخ الانجليزى « أرنولد توينبى » فنقد كتابه الضخم Study OF History الذى اتمه فى عشرة مجلدات فى كتاب أسماه « اعادة النظر Reconsideration » واطرف ما فى هذا الكتاب أن نقد توينبى لنفسه كان اقسى من اسلوب الناقد الغريب وخاصة أن المؤرخ أعرف بما يكتبه

للتفاصيل انظر :

(1) Hallet, Carr : what is History London, 1961 p. 69 — 77.

من غيره ، قد قام توينبى بالبحث عن اخطائه فى صراحة وشجاعة فريدة ونجح فى ذلك ايما نجاح . وجملة مآخذه على نفسه انه اخطأ فى اعتباره الحضارة اليونانية اساسا للحكم فى سائر الحضارات ، ولاحظ بعد اعادة النظر فيما كتبه انه كان شديد الميل الى التعميم والتوسع فى تطبيق الأحكام الشاملة ، وأنه أعطى الأساطير التاريخية من العناية اكثر مما ينبغى . ومع ذلك فان نقده لنفسه لم يقلل فى نظر الآخرين من قيمة عمله ، بل زاده علوا وارتفاعا وخاصة أن كل ما فعله كان اخلاص النظر ، واخلاص التطبيق فيما كتبه .

١٣ — ان يهتم المؤرخ بالاشارة الى مصادر بحثه فى الحواشى حتى يتمكن الآخرون من فحص ما توصل اليه من نتائج والتعرف على الكيفية التى استطاع بواسطتها الحصول على المعلومات التى دونها ، فالمصدر يعد بمثابة شاهد ، تسند اليه المعلومات التى تتم الاشارة اليها .

١٤ — أن يبتعد المؤرخ عن الخيال لأنه ليس من المنطقى أن يتصور أشياء لم تحدث ، ولكن اذا كان ذلك الخيال مرتبطا بالواقع فانه يعد عنصرا ذاتيا أولا وآخرا وخاصة انه يتمثل دائما ماضى المجتمعات الانسانية فى ضوء ما يعرفه عن الطبيعة الانسانية .

١٥ — الا ينحصر عمل المؤرخ فى سرد أحداث الماضى بل لابد له من اصدار أحكام معيارية لتحديد قيمته ، لأنه لا يمكن فهم الماضى الا من خلال احداث الحاضر ومشكلاته[1] وخاصة أن المؤرخ ليس بالعبد الخاضع للحوادث ، وليس بالسيد المستبد بها بل يجب أن تكون صلته بالحوادث هى صلة الند بالند ، وأن تكون علاقته بها متبادلة بين الماضى والحاضر وخصوصا أن الطبيعة الانسانية كثيرا ما تنطوى على بعض السمات الثابتة .

وفى النهاية يمكن القول بأن المؤرخ الحقيقى انما هو انسان موهوب أوتى من الثقافة والعلم حظا كبيرا مكنه من الغوص فى أغوار الماضى ، وشق الطريق داخل منعرجاته ومنحدراته بهدف الوصول الى الحقيقة والصواب .

---

(1) Hallet : op. cit., p. 14 .

الفصل الرابع

المصادر الأصلية والمراجع
ودورهما في الكتابة التاريخية

المصادر والمراجع هى المعين العلمى الذى يستمد منه الباحث معلوماته فى كتابة بحثه . ومن الناحية اللغوية لبس بين المصدر والمرجع فرق كبير ، فالاشتقاق اللغوى لكلمة المصدر الفعل صدر بمعنى رجع ، والاشتقاق اللغوى من كلمة المرجع الفعل رجع .

وتنقسم مصادر البحث التاريخى الى نوعين أصلى وثانوى وكلاهما يفيد فى اعطاء الباحث فكرة عامة عن العصر الذى يكون موضوع البحث جزءا منه ، وينحصر المصدر الأصلى فى شهادة شهود العيان التى يسجلها أشخاص كانوا موجودين خلال وقوع الحدث أو مشاركين ايجابيين فيه ، أو جماعة . فالوثيقة التاريخية يمكن أن تندرج تحت المصادر الأصلية التاريخية الحكومية والرسمية للمؤسسات المختلفة والآثار الباقية من فرد أو جماعة . فالوثيقة التاريخية يمكن أن تندرج تحت المصادر الأصلية لأنها تحمل فى معظم الأحيان أفكارا جديدة وخلاقه ، ولأنها غالبا ما تكون على حالتها لم تحور أو تبدل ولأن نصها هو النص المعترف به وبمقدار قرب وقت تدوينه من وقت وقوع الحادث تكون قيمته التاريخية ، والى جانب ذلك فالوثيقة التاريخية لا تحدثنا عن الحوادث وآراء كاتبها فحسب بل تحتوى على عناصر تاريخية تختلف طبيعتها ، من لغة وأسلوب ، وعادات ووصف جغرافى ، وغير ذلك من الأمور ، والى جانب ذلك فهناك الرسائل الشخصية واليوميات والمذكرات السياسية .

أما المصادر الثانوية فهى غالبا التى تنقل عن المصادر الأصلية ولعلنا نشير هنا الى أن بعض المصادر قد تكون أصلية فى بعض الدراسات

وثانوية فى البعض الآخر ، فالصحف اليومية مثلا تعد محدودة القيمة فى بعض الأحيان الا أنها تعد مصدرا أصليا فى بحث عن واقع المجتمع أو عن الأفكار الشائعة فيه فى فترة تاريخية معينة .

وفيما يلى نعرض لأهم مصادر البحث التاريخى .

أولا — المصادر الأصلية :

١ — الوثائق Documents

الوثائق بالنسبة للكتابة التاريخية تعد بمثابة الوقود الذى يحتاج اليه المحرك لتأدية وظيفته وخاصة أن الطريقة الحديثة فى كتابة التاريخ تعتمد على نشر الوثائق وتمحيصها لأنها بمثابة اب التاريخ فالمؤرخ لا يستطيع التعرف على الماضى مباشرة الا من خلال الآثار التى خلفها وراءه ، وكتابة التاريخ الصحيحة لا تبدأ الا حين تكون وثائقه واضحة ، وجديرة بالثقة وخاصة أن كثيرا من المشكلات التى قد يثيرها المؤرخ والأسئلة التى يطرحها تظل بدون فاعلية أو اجابة اذا لم تتوفر الوثائق الكاملة للرد عليها . ومن هنا فان الوثيقة تظل المصدر الأول لكتابة التاريخ ، وبدونها يصعب على المؤرخ كتابة التاريخ الصحيح .

وفى التاريخ الحديث آلاف السجلات والملفات الخاصة بالحكام والوزارات والجيوش والمحافل والقضاة والأطباء والمؤسسات الاجتماعية وغيرها وكلها حافلة بالوثائق المهمة .

والوثائق نوعان غير منشورة ومنشورة . والوثائق غير المنشورة ذات فائدة كبيرة للتاريخ لأنه لو ازيح عنها الستار لأفادت فى حل الكثير من الالغاز المحيرة .

أما الوثائق المنشورة فهى التى قامت بعض الجهات الرسمية أو المؤسسات العلمية بنشرها بهدف ارشاد الباحثين الى موضوعا تمعينة .

وعلى الرغم من صعوبة قراءة الوثائق غير المنشورة فى كثير من الأحيان ، فينبغى أن يتعود الباحث على ما فيها من صعوبات فى اللغة

والأسلوب ، وأن يتدرب على قراءة نصوص هذه الوثائق سواء باللغة العربية أو غيرها .

وعلى الرغم من أهمية الوثائق فينبغى التعرف على مدى أصالة الوثيقة موضوع الدراسة ، ومدى مكانة كاتبها خلال فترة كتابتها ، والى أى مدى توافرت له امكانات التسجيل الصحيح لها ، ومدى صلته بما عرض له من وقائع من حيث التحيز لفريق دون غيره أو من حيث الموضوعية فى عرضه للوقائع . ويجب الا يعتمد الباحث على وثيقة واحدة فى دراسة موضوع معين مهما تكن قيمتها بل يجب الرجوع الى وثائق متعددة ، ومن مصادر مختلفة حول موضوع دراسته حتى يتأكد من سلامة القرار الذى اتخذه او الراى الذى يبديه .

٢ — الرسائل الشخصية : Personal Letters

توضع فى مرتبة عالية من مراتب الوثوق بدورها اذا كانت تلقائية وخالصة ، وصادرة من احد صناع القرار أو من الرحالة أو غيرهم ، ولكن مما يؤخذ عليها فى كثير من الأحيان تدخل الاعتبارات الشخصية فى صبغ بعض الحقائق بصيغة خاصة ، ومن هنا تقع فى مرتبة ادنى اذا نظر اليها على انها شاهد يقارن بالوثائق من الأنواع الأخرى ، يضاف الى ذلك انها تحتاج من المؤرخ الى تمحيص وحذر .

٣ — اليوميات : Diaries

هى لون من الوثائق ، ولعلها اكثر امتاعا من الناحية الفنية وتكاملا من الناحية الموضوعية لكونها تلقائية وخالصة ، وبعيدة عن قيود المكاتبات الرسمية واكثر قربا والصق بالأحداث التى تصفها ، ولكونها أيضا بنت ساعدتها او بنت يومها تسجل أحداث النفس البشرية بدقائقها وصغائرها من خلال النظرة الذاتية وهذا يجعلها فى مرتبة عالية بين المصادر التاريخية ، وخاصة انها تسد الكثير من الفجوات التى يحدثها مر الزمن ، ولا تتوافر اجابات لها يستطيع انيحفظها التاريخ .

ومن أبرز هذا اللون من الكتابات « يوميات هيروشيما » و « يوميات

نائب فى الأرياف » ففى الموضوع الأول يسجل الكاتب انطباعاته عن أول قنبلة ذرية ألقيت على هيروشيما موضحا حالة النفس البشريـــة خـــلال ضعفها وعجزها ، ومبرزا الأمل الذى يتعلق به الانسان دائما .

أما فى الموضوع الثانى فيسجل الحكيم سيرته بما فيها من تناقض واتقان ، ومع أن ما كتبه قد أبعده عن طبيعة اليوميات الى حد ما فقد صور البيئة الريفية التى عاش فيها والشخصيات التى قابلها بعينه اللاقطة وقلمــه الجذاب بدرجة يصعب على المؤرخ أن يجدها فى أى وثيقة أخرى معاصرة يضاف الى ذلك أن هناك بعض الكتابات تحمل عنوان اليوميـــات ، وهى أقرب الى المذكرات Memoir أو الذكريات منها الى اليوميات .

ومع أن المذكرات السياسية لم تتأصل كتابتها حتى وقت قـــريب بين الموجود فى المذكرات ، كما أنها كثيرا ما تحتـــوى على أشياء سطحية فى الحياة قد تكون مكررة فانها غالبا ما تكشف الكثير من طبائع كتابها ، وخاصة أنها تسجيل دقيق لتطور شخصيتهم فى حركتها وانفعـــالاتها وأحاسيسها الداخلية أيضا .

ومما يخشى عليه فى اليوميـــات أنها تكون دائما عرضـــة للتلف أو التحوير وخاصة اذا كانت تتناول بعض الأمور السياسية التى تراها بعض الحكومات خطرا عليها .

٤ ـــ المذكرات السياسية : Memoirs

ومع أن المذكرات السياسية لم تتأصـــل كتابتها حتى وقت قريب بين زعمائنا فقد ظهرت مذكرات لبعض الساسة المصريين على مستوى كبير من الأهمية ، كما سمعنا عن مذكرات آخرين ولا ندرى من أمرها شيئا . أما المذكرات السياسية التى كتبها أشخاص شاركوا فى صنع تاريخ مصر أو كانوا شهود عيان له فهى عديدة وتم نشر معظمها بعد تحقيقه والقليل منها لا يزال بين الدهاليز ، واهم هذه المذكرات مذكرات أحمـــد عـــرابى ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، ومحمد على علـــوية ، وفتح الله بركات ، وابراهيم الهلباوى ، وعبد الرحمن فهمى ، والخديـــو

عباس الثانى ، واحمد شفيق ، واحمد لطفى السيد ، وعبـد الـرحمن الرافعى ، ومحمد كامل سليم ، وابراهيم طلعت ، وعبد العزيز فهمى ، واسماعيل صدقى ، واحمد حسين ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد نجيب وغيرهم .

ومع ان الكثير مما وصف بأنه مذكرات هو فى الواقع اقـرب التقارير منه الى المذكرات ، وخاصة ان شرط المذكرات هو أن يتم تصوير الحادث عند وقوعه أو الرأى عند تكوينه ، اما اذا تمت استعادته بعد انقضاء زمن بين وقوع الحادث وتذكره فقد يتأثر ذلك بحالة الكاتب النفسـية وقت الكتابة وهذا يؤدى الى تغيير بعض النتائج التى ترتبت على الحادث ، وذلك يمكن أن نصفه بأنه أقـرب للتاريخ منه المذكرات ، ومن هنا فانه يمكن مثلا نقل مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل [١] من باب المذكرات الى باب التاريخ [٢] .

وترجع أهمية المذكـرات الى انها تتناول تجربة الانسـان الشخصية وأعماله وآراءه التى قد يتحرج عن الافصاح عنها والاعتراف بها فى ظـرف معين ، فهى تشمل كل ما روى أو دون من وقائع بهذه الصفة .

ومن هنا تتحدد اهمية هذه المذكرات فهى تكشف عادة عن مسـتور يتصـل بذات صـاحبها بالدرجـة الأولـى [٣] . وابـرز الأمثـلة على ذلك مذكـرات سـعد زغلـول . وممـا يـؤخذ على المذكرات بصـفة عامـة انها تكتب تحت تأثـير نفسى معـين بالاضـافة الى مـا تتضمنه احيانا من بعض التفاصيل غير الصحيحـة والمبالغ فيها فى بعض الجوانب لدرجـة أن الباحث احيانا يقـرأ مذكرات لكاتب معين وأخـرى لكاتب آخـر عن حوادث متماثلة ذات صلة بأناس تناولتهم تلك المذكـرات

---

(١) نشرت تحت عنوان : مذكرات فى السياسة المصرية .

(٢) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية حـ ١ ، القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٢ ص ١٢ .

(٣) عبد العظيم رمضان : المذكرات السياسية واهميتها فى تـاريخ مصر المعاصر ، دراسة غير منشورة ضمن الأسبوع العلمى الثانى لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس ص ٥ — ٦ .

بالحديث فيجد تضاربا حول ما يتعلق بتلك الحوادث أو بعضها [٤] يضافه الى ذلك أن بعض المذكرات التى تم نشرها لم يلتـــزم فيهـــا أصـــحابها بالموضوعية ، ولم يتعرضوا فيها لأخطائهم ومخاطراتهم الفاشلة فمثلا نجد انه على الرغم من أن مذكرات ونستون تشرشل عن الحـــرب العالميـــة الثانية قد امتعت بنى جلدته الانجليز فانها ادت الى ارتفاع اصــــوات الاحتجاج ضد كاتبها فى أمريكا وفرنسا وبلجيكا وغيرها من البلدان المشتركة فى الحرب بحجة انها لم تنصف الحقائق دائما . يضاف الى ذلك اننا نجـــد فى المذكرات السياسية غالبا دفاعا عن النفس وتزكية لهـــا ، وتبـــريرا لأخطائها ورد نقائصها الى فضائل ومناقب ، فالضعف يتحول الى انـــكار للذات ، والجبن يصبح تسامحا يقابل الاســـاءة بالمغفـــرة ، والتقلب بين المذاهب والمبادىء يصير حرصا على الصالح العام .

ولعل طوفان المذكرات السياسية الذى ظهـــر فى الآونة الأخيرة بمصر اقوى دليل على ذلك ، ومع كل هذا ففى المذكرات غالبا ما تتسرب بعض الاعترافات من حيث لا يدرى كاتبها وخير مثال على ذلك مذكرات محمـــد فريد ، ومذكرات سعد زغلول . فالحديث عن المذكرات تؤدى أحيانـــا الى الدخول فى دهاليز الذات التى كثيرا ما تكون من الخفايا التى يحرص الانسان على اسدال الستار عليها [٥] .

وعلى كل حال فكلما كان اســـلوب المذكرات اقـــرب الى الحقيقـــة والواقع كلما كان اكثر قابلية للاعتراف به عن الأسلوب الذى يحمل الطابع الانشائى أو البلاغى .

٥ — اللقاءات الشخصية :

يسعى بعض الباحثين الى اجراء لقاءات مع بعض الشخصيات ذات التأثير فى بعض الأحداث فى فترة معينة وقد يخرج هؤلاء فى كثير من الأحيان بانطباعات كان يصعب الحصول عليها من بطون الكتب أو الوثائق ، ومع

---

(٤) العرب : عدد ديسمبر / يناير ١٩٩١ تحت عنوان « كلمة عن التاريخ والمؤرخين » ص ٧٢٧ .

(٥) العربى : ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ص ٣٠ — ٣١ .

ذلك فان مهمة الباحث قد تكون شاقة فى اثناء غربلته لهذه اللقـــاءات واستخلاص المعلـــومات منهـــا ، ومقارنتها بأقوال آخرين عاصروا هـــذه الفتـــرة .

ثانيا : المراجع :

أما عن المراجع فانها تعين الباحث على تكوين فكرة عامة عمن سبقه فى كتابة بحثه ، وتحيله الى المراجع التى اعتمد عليها حتى لا يضيع وقته فى شىء سبقه اليه الآخرون ، وحتى يبدأ من حيث انتهوا .

فالباحث الجيد هو الذى يتتبع المسألة او الفكرة الواحدة فى بعض الكتب الجيدة ، مع التعرف على الكتب التى اعتمد عليها أولئك لكى يدرك كيف نمت هذه الفكرة وتطورت ، وكيف عالجها الباحثون الآخرون .

وبهذه المقارنة يستطيع الباحث ان يتعرف على أوجه القـــوة ، وأوجه الضعف ، وتعينه على الوصول الى تحديد المسائل الجديرة بالدراســـة والتحليل .

الفصل الخامس

العلوم المساعدة للتاريخ

بعد ان اتسع نطاق علم التاريخ فشمل مظاهر الحياة البشرية فى كل اشكالها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بدأ التقارب يزداد بين الدراسات التاريخية والعلوم الأخرى كى تساعدها بالنتائج التى حصلت عليها من أجل استكشاف حقيقة الماضى ، ووضعها فى اطارها الصحيح .

ومن هنا اخذت العلوم المساعدة فى الازدياد . وتختلف أهمية هذه العلوم باختلاف الموضوع الذى يقوم الباحث بدراسته ، والعصر الذى يتعرض له .

والباحث فى التاريخ يلزمه ان يتقن هذه العلوم ويحسن الانتفاع بها . وغالبا ما تمد هذه العلوم المؤرخ بما يحتاج من مواد مساعدة فى أثناء كتابة بحوثه ، فالعلماء المختصون بأوراق البردى يمدون مؤرخ التاريخ القديم بما لديهم من نصوص سواء كتبت بلغة هيروغليفية أو هيراطيقية أو ديموطيقية أو يونانية وعلماء الآثار القديمة يمدونه بنتائج حفائرهم الأثرية وبمعلوماتهم الخاصة عن التماثيل والخزف وأدوات البناء ، وعلماء النميات يتأكدون من صحة قطع النقود او المعادن وتاريخها ويقدمونها الى المؤرخ على طبق من فضة للاستفادة منها وعلماء دراسة الأختام يدللون على صحة الوثائق المختومة حتى يمكن أن يستفيد منها المؤرخ ، وعلماء الأنساب يبرهنون على صحة تسلسل النسب ، ويقدمون الجداول الخاصة بذلك ليستفيد منها المؤرخ ، والمفهرسون فى دور الكتب يمدون المؤرخ بالمعلومات اللازمة عن الكتب والمؤلفين عن طريق الفهارس والكتالوجات لمساعدته فى اعداد دراساته والمعجميون الذين يعدون المعاجم ويبينون اشتقاق الكلمات غالبا ما يكون عملهم ذا فائدة للمؤرخ ، والمختصون بالعلوم الاجتماعية والنفسية الذين يقومون بعمل الاحصاءات عن تعداد السكان ، والتطور

الاجتاعى وغيره يمكن ان يكون عملهم ذا نفع للمؤرخ [1] ولا ريب فى أن ابن خلدون كان أبعد نظرا عندما رأى أن يحصل المؤرخ على ثقافة اجتماعية تعينه على تفهم حوادث التاريخ ، وهذا ما دفعه الى الحـــديث عن علم العمـــران .

والى جانب ذلك فان علماء حساب التواريخ الذين يقومـــون بشرح التقاويم العديدة يمكن أن يبسطوا للمؤرخ مسألة قياس الزمن وضبطه [2] يضاف الى ذلك أن من واجب المؤرخ أن يكون ملما بالفلســـفة ، وعلم الأجناس ، والجغرافيا والعلوم الطبيعية التى تتصل بالتاريخ مثل علـــم طبقات الأرض وغيره ، كما يتحتم عليه أن يتمتع بثقافة سيكولوجية حتى يكون قادرا على تفهم الحياة المعاصرة ، والكشف عن الحقيقة التاريخيـــة معتمدا فى ذلك على أن الدراسة التاريخية تتجه فى المقام الأول الى خدمـــة الأغراض الانسانية والعلمية ، فالانسان دائم الشعور بالحاجة الى تكوين صورة واضحة عن الماضى بحيث تكون هذه الصورة اطارا عاما لنشاطه فى الحاضر الذى يمكن القول بأنه نقطة تقاطع بين الماضى والمستقبل ، وهـــذا هو السبب فى أن كل جيل يشعر بالضرورة التى تدفعه الى اعادة كتابـــة تاريخه [3] .

وفيما يلى نعرض لبعض العلوم المساعدة للتاريخ :

---

(١) هناك فارق أساسى بين التاريخ والعلوم الاجتماعية فالأول يهتم بالأحداث الفردية الماضية فى ترابطها الزمنى فى حين ان الأخيرة تحـــاول أن تنظم الأحداث الحاضرة والمـــاضية فى نظريات أو قوانين وصـــفية ومع هذا فان مجال التعاون بينهما واسع وثماره مفيدة .

(٢) التفاصيل انظر : لويس جوتشلك : كيف نفهم التاريخ — مدخل الى تطبيق المنهج التاريخى — ترجمة عائدة سليمان وأحمد أبـــو حاكمـــة بيروت ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٦ ص ١٤٨ — ١٥٢ .

(3) W. H. Walch : op. cit., p. 111

١ — الفقــه :

الفقه فى اللغة يعنى الفهم والفطنة بوجه عام ، ثم اختص بعلــوم الشريعة وأصول الدين [٤] كما يعنى العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وبعبارة أخــرى هو تطبيق أحكام الشريعة على أعمــال البشر للفصل بين حلالها وحرامها والفقــه علم مستنبط بالراى والاجتهاد من أئمة القوم المعنيين بأمر الدين كالصحابة ومن اليهم من التابعين وغيرهم وخاصة انه يشمل جميع العلوم الدينية والغرض منه اســتنباط الأحــكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة وهى الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .

ومن المنطقى أن يجد الباحث فى التاريخ الاســلامى فى كتب الفقــه كثيرا من الموضوعات عن نظم الشعوب الاسلامية وأحوالها وبخاصــة فى العصور الاسلامية الزاهــرة ولا سيما أن الفقهاء يتجهون فى بحوثهم الى الجوانب المتعددة من حياة المسلمين فيكتبون عن الأحــوال الاقتصـــادية والاجتماعية والمــالية ، كما يتعرضون للعادات والتقاليد لذلك يمكن اعتبار كتب الفقه مصدرا ثمينا للمعلومات عن الأحــوال التى كان المســلمون يعيشونها ، والمشكلات التى كانوا يتعرضون لها ، والعــادات التى كانت تنتشر بينهم .

ومع كل ذلك فيجب أن تؤخذ المعلومات الواردة فى هذه الكتب بعين المؤرخ النافذة ، وخاصة فيما يتعلق بالبيانات التاريخية التى تعرضــت لهــا [٥] .

٢ — علم الحديث :

الحديث أو السنة عند المسلمين ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو اقــرار ، حفظه الصحابة وأخذه عنهم تابعوهم

---

(٤) أنظر . العجم الوسيط ج ٢ ص ٧٠٥ .

(٥) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م صفحة ٧٨ — ٧٩ .

ويبحث هذا العلم فى سند الأحاديث النبوية المنسوبة الى الرسول الكريم من حيث دقة رواتها ، وكيفية أخذهم الحديث ، ومدى صلتهم بنبى الاسلام. وقد أوضح ابن الأثير فى جامع الأصول أهمية علم الحديث بقوله انه ثانى أدلة الأحكام . والكتب المصنفة فى علم الحديث كثيرة ، واهمها صحيح البخارى ثم صحيح مسلم ويعرفان بالصحيحين ثم الموطأ لمالك بن انس ثم كتب فى الحديث بعد هؤلاء الثلاثة أبو داود السجستانى وأبو عيسى الترمذى، وابو عبد الرحمن النسائى ، وتوسعوا فى جمع الاحاديث فزادوا على الصحيح منها ما هو دونه رتبه من الحسن وغيره . ومؤلفات هؤلاء الأئمة الستة هى امهات الكتب فى الحديث وتعرف بالستة الصحاح واليها النهاية فى هذا العلم ، وكل ما ألف بعدها فهو شرح او تلخيص أو تعليق عليها .

٣ — علم فقه اللغة (الفيلولوجيا) :

وهو علم لهاصوله وقوانينه الخاصة التى تفسر لنا تطور ألفاظ اللغة وقواعدها ، وكلما بعد العصر موضوع الدراسة ازدادت أهمية هذا العلم ، وأصبحت معرفته هامة وضرورية للمؤرخ اذ لا يمكنه فهم وثيقة قديمة أو نصوص تاريخية من عصر سابق الا اذا فهم معانى الفاظها والكلمات التى كانت تستعمل فى ذلك الوقت ، وكثيرا ما يقع بعض الباحثين فى هذه الأخطاء نتيجة لعدم فهمهم لقوانين اللغة وقواعدها . مثال ذلك أن اللغة العربية فى القرن الماضى مختلفة عن العربية اليوم ، فقد تدهورت هذه اللغة فى العصر العثمانى بسبب تعدد الدخيل فيها ، وزحف اللغة التركية عليها وخاصة فى الدواوين الحكومية وخير مثال على تدهور اللغة العربية فى ذلك الوقت ما كتبه المؤرخ « عبد الرحمن الجبرتى » فى كتابه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » و « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » حيث يتضح مدى تأثر الجبرتى بطابع عصره فى انحطاط الأسلوب وشيوع العجمة فى التراكيب ، والتردى فى الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية ، بينما تغيرت هذه الأمور فى الوقت الحالى بعد أن تخلصت العربية من معظم الألفاظ التركية ، ومن هنا يتحتم على المؤرخ أن يكون ملما بالقواعد الأساسية لهذا العلم ، والتطورات التى حدثت له حتى يفهم النص التاريخى على حقيقته .

٤ — علم الأنســـاب :

هو علم تعرف به أنســـاب الناس ، بغرض الاحتراز عن الخطـــأ فى نسب شخص(٦) ، وقد حث الرسول الكريم على تعلمه بقوله : « تعلموا انسابكم تصلوا أرحامكم » وقد استخدم العرب الأنســـاب باعتبارها من أنماط المعرفة التاريخية ، وأداة حضارية تناسب ظروف انقسام مجتمعهم الى قبائل ، وبقيت الأنساب تؤدى دورها فى خدمة المجتمع العربى على أنها من فروع التاريخ ، وكانت تحفظ شفاها عن ظهـــر قلب ، كما كان لكل قبيلة نسابتها المشهورون الذين يتفاخرون بامجاد الأجداد والآباء وقـــد ذكر النويرى ذلك فى كتابه « نهاية الأرب فى فنون الأدب » والى جانب ذلك فان المعرفة بعلم الأنساب من الأمور الأساسية التى يترتب عليها كثير من الأحكام الشرعية والمعالم الدينية ، وأحكام للوراثة ، وأحكام الأوليـــاء فى النكاح وأحكام الموقف ، واعتبـــار النسب فى كفاءة الزوج والزوجـــة فى النكاح ونتيجة لذلك فان المؤرخ غالبـــا ما يجـــد فى علم الأنساب شجرات النسب التى يستطيع من خلالها التعرف على صحة نسب الشخصية التى يقوم بدراستها .

٥ — الحســـــبة :

الحسبة شرعا كما يذكر ابن خلدون « وظيفة دينية من باب الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر (٧) » وقد نشأ نظام الحسبة فى عهـــد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تولاها بنفسه ثم أفـــرد لها واليا خاصا ، وقد اقتدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالرسول فقام بوظيفة الحســـــبة بنفسه ، وكان كثير التجوال بين المسلمين ليلا ونهارا يوجههم بالتـــزام أحكام الدين ومقتضياته فى أمورهم الدينية والدنيوية . وسار على بن أبى طالب رضى الله عنه على هذا المنوال فكان يطوف بأسواق الكوفة ليرى الأوزان والمقاييس التى يستخدمها الباعة .

---

(٦) للتفاصيل انظـــر جلبى : المصدر السابق ص ١٥٧ .
(٧) انظـــر : مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧ .
وعن معنى الحسبة فى اللغة انظـــر ، المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٧١ وابن منظور : لسان العرب ص ٦٢٩ — ٦٣١ .

ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وكثرت مهام الدولة وتخصصت وظائفها صارت الحسبة من أهم الأجهزة الادارية فى النظام الاسلامى واصبح المحتسب يشرف على الشئون العامة من مراقبة الاسعار ، ورعاية الآداب ومراعاة أحكام الشرع والسهر على حماية المجتمع (٨) .

والحسبة صلة قوية بخصائص القضاء ونظر المظالم ، فالمحتسب يفصل فى المنازعات الظاهرة التى لا تحتاج الى ادلة ، كما يتولى تأديب من يجاهر بالمعاصى ، أو يخرج على المألوف من ادب المسلمين ونتيجة لذلك وصف الماوردى الحسبة بأنها وسط بين أحكام القضاء وأحكام المظالم (٩) .

وكتب الحسبة تحوى العديد من الموضوعات والبيانات الهامة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى البلدان الاسلامية والتى يمكن أن تكون من المصادر الأساسية التى تساعد المؤرخ فى التعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية وغيرها .

٦ — العملات أو النميات أو المسكوكات :

تعد دراسة العملات الاسلامية اساسا هاما لدراسة التاريخ السياسى والاقتصادى للدولة الاسلامية ، فالكتابات المنقوشة على السكة تتضمن أسماء الخلفاء والسلاطين والقابهم ، وتاريخ الضرب ، وبعض عبارات خاصة بالمذهب الدينى السائد ، والمدينة التى ضربت فيها العملة . ولذلك فان العملات تعد سجلا للألقاب والنعوت التى توضح كثيرا من الاحداث السياسية والاقتصادية ، فتفيد فى تحقيق الكثير من الحوادث مثل فتح بعض البلاد عنوة أو صلحا ، كما تفيد فى معرفة الحالة الاقتصادية للعصر الذى استعملت فيه هذه العملات للتداول ، والى نوع النقد المستعمل وأشكاله (١٠) .

---

(٨) للتفاصيل انظر البغدادى : سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ، المكتبة العلمية ص ٥ .

(٩) انظر الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٢٤١ .

(١٠) سيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨١ ص ١٥٦ — ١٦١ .

— علم قراءة الخطوط (الباليوجرافيا Phaleography

يتحتم على المؤرخ التعرف على هذا الفن الذى يستخدم فى قــراءة خطوط اللغات القديمة كالفرعونية والاغريقية واللاتينية . فالمؤرخ الــذى يقوم بدراسة تاريخ مصر القديم تضطره طبيعة بحثه الى معــرفة الكتابة الهيروغليفية (الخط المقدس) الذى استطاع شمبليون Champollion التوصل الى أسرارها بعد اكتشاف حجر رشيد Rosetta Stone فى عــام ١٧٩٩ م .

والباحث الذى يقوم بدراسة علاقات العــرب مع أوربا العصـــور الوسطى يفرض عليه بحثه معــرفة الكتابة اللاتينية كما يتحتم على الباحث فى تاريخ الدولة العثمانية أن يتعرف على الخط الديوانى الذى كانت تكتب به الأوامـــر السلطانية وعلى خط القيرمة الذى كان يستخدم فى شـــئون الدولة العثمانية الادارية والمالية حتى يستطيع تفهم وثائق ذلك العصر .

٨ — اللغـــات :

العلم ليس له وطن وليس وقفا على أمة من الأمم بل هــو تجارب شاركت فيها معظم الأمم لذلك فان المؤرخ فى اشد الحاجة الى التزود ببعض اللغات حتى يستطيع القيام بالمقارنة ، وتفهم ما تعرضه الأطراف المتعددة التى لها دخل فى موضوع دراسته ، وخصوصا ان الترجمة وحدها لا تكفى. وتختلف نوعية اللغات التى يجب على المؤرخ معرفتها وفقا لتخصصـــــه فمؤرخ التاريخ القديم اذا أراد دراسة فترة من فترات تاريخ مصر الفرعونية فيتحتم عليه معرفة الهيروغليفية والــديموطيقية والانجليـــزية وغـــيرها . ومؤرخ التاريخ الاسلامى أو الوسيط اذا أراد دراسة تاريخ احدى البلدان العربية فى العصر العباسى فلابد له من التعرف على اللغات العربية والتركية والفارسية . ومؤرخ التاريخ الحديث اذا أراد التعـــرض لتفــاعلات عصر النهضة الأوربية فلابد له من معرفة اللغة اللاتينية المتأخـــرة ، واذا أراد التعرض لتاريخ المسألة المصرية خلال القرن التاسع عشر فلابد له أن يكون ملما بالانجليزية والفرنسية والتركية هذا بالاضافة الى لغته الأصلية حتى يستطيع أن يتفهم الوثائق الخاصة بهذا الموضوع . واذا أراد أن يـــدرس

الصراع فى أوربا من أجل السيطرة على المستعمرات فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فلابد له من معرفة اللغات الفرنسية والألمانية والايطالية وغيرها . وهذا يعنى أن مؤرخ التاريخ الحديث مثلا قد يكون أقل حاجة لمعرفة اللاتينية القديمة من مؤرخ التاريخ القديم أو الوسيط .

١ — علم الوثائق Diplomatics

مفهوم الوثيقة يشمل كل أثر مكتوب أو محفور أو منقوش والدارس لهذا العلم يجمع بين عمل الآثارى فى حفره وتنقيبه وعمل المحقق الباحث فى فك الرموز والطلاسم التى يقدمها النص وبخاصة فى الوثائق التركية العثمانية والفارسية أو العربية التى كتبت فى العصر العثمانى وما يقترب منه والى جانب ذلك فان علم الوثائق يساعد المؤرخ على التعرف على تطور علم الخطوط والتعرف على أسلوبها وفهم مصطلحاتها عن طريق معرفة نوع الورق أو الزجاج أو المادة التى كتبت عليها الوثيقة ، كما يساعده على التعرف على الأحبار التى استخدمت فى كتابة الوثيقة [11] والخاتم الذى مهرت به ونوعه .

والوثائق تعد بمثابة المادة الخام التى يصنع منها التاريخ والتى يمكن أن تنطوى على أفكار جديدة وخلاقة ، لأنها بقيت على حالتها التى صيغت بها ، ولأنها أقدم مصدر يمكن العثور عليه لايضاح حدث معين ، ولأنها الشىء الوحيد الباقى من الواقعة التاريخية ، والأساس الوحيد الذى يقوم عليه التاريخ [12] .

وعلم الوثائق أو علم الدبلومات Diplomatics يعد من العلوم الأساسية فى الدراسة التاريخية لذا ينبغى على المؤرخ التعرف على المصطلحات الخاصة بالوثائق التى يقوم بدراستها حتى يجد بين سطورها من الحقائق ما يستكمل به بعض الحلقات المفقودة فى التاريخ .

---

(١١) قاسم السامرائى : مقدمة فى الوثائق الاسلامية ، الرياض ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ ص ٧ — ٨ .

(١٢) بدوى : المرجع السابق ص ٢١٨ .

وعلى الرغم من أهمية الوثائق فانه ينبغى على المؤرخ أن يعلم انها يمكن أن تتأثر بالميول والأحكام الشخصية من جانب من يسجلونها ، كما ينبغى عليه ايضا الحذر والحيطة الدائمة من قيام البعض بتزوير الوثائق من أجل تثبيت ادعاء أو لقب باطل ، وأحيانا أخرى تزيف الوثائق من أجل بيعها فقد ظهرت رسائل مزورة للملكة « مارى انطوانيت » كما اتضح أن المذكرات التى نسبها البعض الى هتلر مزورة . ولكى يميز المؤرخ الوثيقة الأصلية من المزيفة أو المحرفة يجب عليه أن يستخدم الاختبارات المتبعة فى هذا الأمر ، فتختبر المواد الكتابية للحكم عليها اكانت معروفة فى التاريخ الذى ترجع اليه الوثيقة . فمثلا الورق كان نادرا فى أوربا فى القرن الخامس عشر ، والطباعة كانت مجهولة آنذاك وأما اقلام الرصاص فلم يكن لها وجود هناك قبل القرن السادس عشر ، وأما الطباعة على الآلة الكاتبة فلم تعرف الا فى القرن التاسع عشر ، وكذلك يفحص المؤرخ الحبر بحثا عن العلامات التى تحدد عمره اولا ، باحثا عن تركيب كيماوى يثبت أنه متأخر عن تاريخ الوثيقة . وبعد أن يبذل جهده فى معرفة مؤلف الوثيقة يحاول — اذا كان فى استطاعته — أن يتحقق من الخط والتوقيع ، والخاتم ، واصل الورق أو العلامة المائية المميزة فى الورق ، ومقارنة الخط بعينات أخرى منه [١٣] وخاصة ان هجاء الكلمات وضبطها قد يكشف التزوير .

١٠ — علم الآثار Archelogy

هناك صلة وثيقة بين علم الآثار وعلم التاريخ ، فمنذ ان اكتشف فرنسوا شامبليون Champollion فى عام ١٨٢٢ رموز الكتابة الهيروغليفية صار من عمل المختصين بدراسة تاريخ مصر القديم ، وعلماء أوراق البردى امداد المؤرخ بترجمات للنصوص والنقوش التى يعثرون عليها . وصار مؤرخو العصور القديمة يعتمدون اعتمادا كبيرا على النتائج العلمية التى يتوصل اليها علماء الآثار الذين يقومون بحفر الأرض بمعاولهم ، ويقيمون تحت لهيب الشمس الحارقة بهدف كشف مجرى الحضارة الانسانية وخاصة ان هؤلاء المؤرخين يجدون ماضى البشرية يبرز

---

(١٣) جوتشالك : المرجع السابق ص ١٤٣ .

من خلال الآثار والمدونات من بقايا الماضى التى تركها السلف والتى تعد فى بعض الأحيان المصدر الوحيد لبعض كتب التاريخ القديم . فقد أمد علم الآثار مؤرخ التاريخ القديم بمعلومات هامة عن الطقوس الدينية والحياة الأسرية والاجتماعية والحرف والتقاليد والعادات فضلا على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى عاشتها مصر خلال هذه الأيام . وهذه المعلومات فى مجملها تعتمد على الآثار الصامتة دون النصوص الناطقة وتستند على أساس من البيان الصامت الصادق الذى يترك المؤرخ أعمال القدماء ومخلفاتهم تتحدث عن نفسها بهدف معالجة قصة الانسان وحضارته خلال آلاف عديدة من السنين ، والكشف عن نشأة المدنية وتطورها .

وحول أهمية الآثار بالنسبة لمؤرخ التاريخ الاسلامى فان مؤرخى التاريخ الاسلامى يعتمدون أيضا — وفى كثير من الأحيان — على النتائج العلمية التى يتوصل اليها علماء الآثار الاسلامية بغرض الوصول ببحوثهم فى تاريخ العرب والمسلمين الى ما هو أقرب الى الكمال وخاصة أن الآثار الاسلامية تعد من المصادر الأصلية فى كتابة التاريخ الاسلامى ، كما أن الزخرفة الاسلامية راعت أصولا من أصول العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامى . ومن هنا تكون طرافتها وقوتها ثم تأثيرها فى الكتابة التاريخية .

١١ — علم الجغرافيا :

قام علم الجغرافيا أو تقويم البلدان كما عرف عند العرب على رحلات الرحالة والجغرافيين الى الاقطار والبلدان المختلفة ، ودراسة تضاريسها وجبالها ووديانها وانهارها ومناخها ، عادات سكانها ، وطرقها وشعابها وحاصلاتها .

وقد تميز هؤلاء الرحالة بنظرتهم الواقعية الى مختلف الموضوعات التى كتبوا عنها ، وكان من أبرز هؤلاء المسعودى فى كتابيه « التنبيه » و « مروج الذهب » والمقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم » والادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وابن حوقل فى « المسالك والممالك » وقد ارتبطت كتابة التاريخ عند المسلمين بعلم الجغرافيا الذى يعد من العلوم المساعدة الأساسية لدراسة التاريخ وخاصة أن الأرض هى

مسرح العمليات الذى تحدث عليه الوقائع التاريخية وهى ذات اثر كبير فى توجيه مصاير البشرية ، فهى التى تطعم الانسان وتؤثر فى مستوى حياته ، وفى فكره وحضارته . هذا الى جانب أن الواقعة التاريخية مرتبطة حتما بمكان وزمان معينين ، والا فقدت قيمتها التاريخية الحقيقية .

والى جانب ذلك فان للمناخ أثره الواضح فى تشكيل قدرات الانسان ومواهبه ، فالانسان الذى يعيش فى مكان حار مثلا يختلف عن نظيره الذى يعيش فى مكان بارد من حيث نوعية اهتماماته وقدراته ومدى تأثيره فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ولقد كان المناخ فى مصر مثلا عاملا مهما فى طبع النفس البشرية بالسوية لعدم اتسام المناخ بالانقلابات الفجائية ، وقد يكون لذلك أثره فى انتشار روح الدعابة والنكتة بين المصريين يضاف الى ذلك أن المناخ يمثل عاملا مهما فى استكمال القدرة على تفاعل الانسان مع البيئة ، فنحن نجد أهل البيئة الصحراوية أحد مزاجا من غيرهم والشعر الجاهلى مثلا صورة صادقة لطبيعة البادية ، وحياة البدو فألفاظه خشنة ، وأخيلته مجدبة فى معظم الأحيان . والى جانب ذلك فان الموقع الجغرافى لأى بلد قد يؤثر فى تقدمه الحضارى وتطوره الاقتصادى ، وفى نشر العلوم والفنون بين أفراده وعن ذلك يذكر ابن خلدون ان مجرى التاريخ يعتمد على ظروف البيئة أكثر مما يعتمد على دور الناس .

١٢ — علم الانسان (الانثروبولوجيا) :

ربما كان علم الانسان أشد العلوم الاجتماعية ملاءمة للمؤرخين ، وخاصة ان هذا العلم يعالج بالضرورة المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشرى ، وانتشار البشرية على سطح الأرض ، ونشوء الثقافات الانسانية ، وتتبع الحلقات السلالية فى سلسلة تاريخية متتالية من الظواهر المترابطة ، وكل ذلك يمد المؤرخ باعظم فكرة مباشرة .

١٣ — علم الاجتماع :

اذا قلنا ان علم الاجتماع يدور حول بناء المجتمع ومشكلات الأسرة ، فانه بذلك يساند الباحث فى التاريخ الاجتماعى ويكسبه أفكارا ومدركاته

جديدة بدراسة ما كتبه علماء الاجتماع حول موضوعات مثل : الأخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، والذوى الاجتماعى ، والمؤسسات وغيرها كما أن دراسة الانتقال فى الأمم الصناعية المتقدمة من مرحلة العادات والأعراف الشعبية الريفية الى العــادات والأعــراف المدنية توفر فرصة ممتازة فى مجال التعاون بين المؤرخين وعلماء الاجتماع .

١٤ ــ علم النفس :

يحتاج المؤرخ الذى يترجم لحياة الأشخاص الى التعرف على أساليب المعاينة النفسية ، حتى اذا تعــرض لدراسة احدى الشخصيات كان مدربا على المناهج النفسية فركز تركيزا قويا على عمليات نشوء الشخصــية وتكوينها ، وعلى وصف سلوك الفــرد وتحليلــه على أســاس الأدوار الاجتماعية التى قام بها ، والتفاعلات التى تعرض لها تجاه احداث معينة . وكذلك فان محاولات التعرف على المكونات النفسية لشعب من الشعوب تساعد على تفهم الكثير من الأحداث التاريخية التى تعرض لها أفراد ذلك الشعب والى البرهنة على قضايا معينة . ومن هنا فان العلوم النفسية لها اهمية بالغة لدى المؤرخ لأنه يستطيع عن طريقها التعرف على الكثير من مشكلات الحاضر ، والتنبؤ باتجاهات المستقبل .

١٥ ــ الموسوعات التاريخية والمعاجم :

كلمة موسوعة ترجمة لكلمة Ensyclopedia الافرنجية وهى لفظ مركب من ثلاثة مقاطع هى en بمعنى فى ، Syclo بمعنى دائرة ، pedia بمعنى تعليم فتكون الترجمة الحرفية لهذا اللفظ « فى دائــرة التعليم » ولذلك ترجمها البستانى « دائرة معارف » واطلق عليها صاحب مفتاح السعادة اسم موسوعة . وتعد الموسوعات بمثابة خلاصة جهــود العلماء والباحثين .

ويــرجع بداية عصر الموســوعات الى رغبــة علمــاء المســلمين فى انقاذ الثقافة الاسلامية بعد سقوط بغداد على ايدى التتار فى عام ٦٥٦هـ وذلك عن طريق جمع المواد التى تتألف منها هذه الثقافة فى كتب كثيرة على

شكل موسوعات عظيمة لاتدع صغيرة ولا كبيرة من مواد هذه الثقافة الا أحصتها .

والموسوعات العربية عديدة ، وسنكتفى فى هذا المقام بعرض أربع منها وهى :

كتاب نهاية الأرب للنويرى .

وكتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى .

وكتاب صبح الأعشى للقلقشندى ثم الموسوعة العربية الميسرة التى أشرف على ظهورها الى الوجود الاستاذ محمد شفيق غربال .

أولا — نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى :

وقد تم تأليف هذه الموسوعة فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى ثلاثين جزءا وقد ذكر صاحبها أنها تشمل خمسة فنون ، حسنة الترتيب ، بينه التقسيم والتبويب ، كل فن منها يحتوى على خمسة أقسام :

الفن الأول : فى السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية .
والفن الثانى : فى الانسان وما يتعلق به .
والفن الثالث : فى الحيوان الصامت .
والفن الرابع : فى النبات .
والفن الخامس : فى التاريخ .

ويبدو أن المؤلف أراد من كتابه موسوعته أن يلم بأكثر العلوم والمعارف الانسانية فى عصره حيث يدرك القارىء انه مزج فيها العلوم بالآداب ، وان كانت الصنعة الأدبية غالبة على هذه الموسوعة .

ومن اليسير على كل متفحص لهذه الموسوعة أن يعرف أن صاحبها اعتمد فى كتابتها على مصادر متعددة منها كتب ابن المقفع وابن قتيبة والماوردى والجرجانى والجاحظ وغيرهم .

ثانيا : مسالك الابصار لشهاب الدين العمرى :

وقد تم تأليف هذه الموسوعة ايضا فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى اربعة عشر جزءا وموضوع الموسوعة هو الجغرافيا أو علم البلدان وهو كما يذكر المؤلف « وصف الأرض وما اشتملت عليه برا وبحرا وهو قسمان : أولهما — فى الأرض وثانيهما — فى سكان الأرض. والقسم الأول منهما نوعان : أولهما المسالك ، وثانيهما الممالك .

أما المسالك ففيها وصف لمقدار الأرض وهيئتها وذكر للاقاليم السبعة ، والبحار وما يتعلق بها ، وذكر للطرق ، وذكر للقبلة ، وكيف يستدل عليها وغير ذلك . وأما الممالك ففيها وصف تفصيلى للبلدان الاسلامية دون غيرها من الممالك الأخرى .

وأما القسم الثانى من الموسوعة فينقسم الى ابواب منها باب فى الديانات ، وباب فى المقارنة بين المشرق والمغرب وباب فى طوائف المتدينين ثم باب فى التاريخ .

ومؤلف هذه الموسوعة يعنى فى دراسته عناية واضحة بمصر وشعرائها وحياتها الاجتماعية والادبية اكثر من عنايته بالاقطار الاسلامية الأخرى ، كما انه ينتقل فى كتاباته من الجغرافيا الى العديد من المعارف الأخرى مثل التاريخ والأدب والدين والآثار .

ثالثا : صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى :

حصر القلقشندى نفسه فى هذه الموسوعة فى صناعة الانشاء ، وان كان قد اتخذ من حديثه عن الانشاء وسيلة الى جمع العديد من المعارف الانسانية فى عصره وعن مادة الموسوعة فقد جعلها المؤلف فى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة ففى المقدمة تعرض لفضل الكتابة وحدد معناها لغة واصطلاحا وبين معنى الانشاء وغير ذلك من الموضوعات .

وفى المقالة الأولى تحدث القلقشندى عما يحتاج اليه الكاتب من النحو والصرف والبديع والبيان واشعار العرب وانسابهم ، ومعرفة المداد وانواع الاقلام حتى تكون كتاباته ذات فائدة وقيمة .

وفى المقالة الثانية تحدث المؤلف فى الجغرافيا عن المسالك والممالك وشكل الأرض والبحار ثم تطرق الى التاريخ فتعرض للعديد من حكام المسلمين من عصر الخلفاء الراشدين فالأمويين فالعباسيين فالفاطميين ثم تطرق الى حكام المسلمين فى المغرب والاندلس .

وفى المقالة الثالثة تعرض المؤلف للألقاب وارباب الوظائف الادارية ، وما تفتتح به الكتابة وما تختتم واسهب فى وصف الورق وادوات الكتابة .

وفى المقالة الرابعة موضوعات عن البلاغة والشعر والصيغ الكتابية وتاريخها .

وفى المقالة الخامسة حديث عن الولايات وبيان طبقاتها وعن البيعات والعهود وما شاكل ذلك .

وفى المقالة السادسة حديث عن الوصايا الدينية ، والمقارنة بين السنين الشمسية والقمرية .

وفى المقالة السابعة حديث عن الاقطاعات والمقاطعات واصلها فى الشرع .

وفى المقالة الثامنة تعرض المؤلف للأيمان واللغو فيها ونحو ذلك .

وفى المقالة التاسعة تحدث المؤلف عن عقود الصلح والهدنة بين المسلمين وغيرهم وبين ملوك المسلمين وبعضهم .

وفى المقالة العاشرة تناول المؤلف بالحديث الكتاب والكتابة وقارن بين الكتابة الجدية والكتابة الهزلية .

اما فى الخاتمة فقد تعرض المؤلف للبريد وحمام الزاجل ودوره فى نقل الرسائل الى آخره .

رابعا : الموسوعة العربية الميسرة :

بذلت العديد من الجهود من اجل عمل موسوعة عربية ميسرة تسهل للباحثين والمثقفين الحصول على مطالبهم بسهولة ويسر ، ونتيجة لذلك

شرعت مؤسسة فرانكلين للطبع والنشر بالقاهـــرة فى عام ١٩٥٨ فى اخراج موسوعة عربية مختصرة فى مجلد واحد فكونت مجلسا يضم ســبعة عشر عالمــا واديبا من مصر ومن السودان والشام والكويت برياسة الأستاذ محمد شفيق غربال مدير معهد الدراسات العربية فى ذلك الوقت يتــولى ادارة العمل وتنظيمه فاستعان هذا المجلس بعدد كبير من الخبراء فى مختلف فروع المعرفة من ادب واجتماع ودين وطب وتاريخ وغير ذلك .

وبدأ مجلس الموسوعة عمله متخذا اساسا له موسوعة (كولمبيـــا فايكنج دسك) ذات المجلد الواحد المطبوعة سنة ١٩٦٠ ، واستعان بخبرة القائمين باخراج تلك الموسوعة ولم يقف جهد أولئك العلماء على مجـــرد التعريب ، بل ظهــر لهم بعد العمل أن ما يجب حذفه من موسوعة كولومبيا كثير ، وأنه يجب أن يضاف اليها اكثر بحيث لم يبق بعد الحذف والاضافة سوى ما يقارب ستين فى المائة من تلك الموسوعة . أما الأربعون فى المائة فهى مواد جديدة أو معدلة تعديلا جوهريا .

وقد حرص مجلس المديرين على أن تكون هذه الموسوعة عربية حديثة بمعنى الكلمة ، وان تخرج فى اسلوب واضح جذاب وهذه الموسوعة اول عمل موسوعى من نوعه يصدر بالعربية من حيث كونها موسوعة عامـــة للعرب ، ومن حيث كونها مبسطة مركزة فى مجلــد واحــد ، وفى حجــم معقول .

لقد تآزرت جهود كبيرة لاخراج هذا الأثر العلمى المتميز فخـــرجت الموسوعة فى مجلد يقع فى الفى صفحة ، تناولت واحـــدا وعشرين الف موضوع . والموسوعة ملأت فراغا يحس به كل باحث فى اى مجـــال من مجالات البحث التاريخى ، وان كانت قد اهملت ذكر كثير من الموضوعات المهمة ومن تراجم العلماء (١٤) .

هذا عن الموسوعات أما عن المعاجم فكثيرا ما تسهل للباحثـــــين

(١٤) العرب : السنة الأولى رجب ١٣٨٦ — جمادى الآخــر ١٣٨٧ هـ ص ٢٤٦ — ٢٥٩ .

والمؤرخين مهمتهم وترشدهم الى الطريق السوى وتعينهم على الدرس والتنقيب ، وتوجههم بسهولة الى مطلبهم دون أن يتكبدوا عناء عظيما أو يضيعوا وقتا طويلا ومن أبرز المعاجم التى الفت فى هذا المجال :

١ — المعجم الوسيط :

وقد قام بوضعه لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ويشتمل هذا المعجم على نحو ٣٠ الف مادة ، ومليون كلمة ، وستمائة صورة ، ويقع فى جزءين كبيرين يحتويان على نحو ١٢٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة ، وأهم ما يميزه انه مجدد ومعاصر يضع الفاظ القرن العشرين الى جانب الفاظ الجاهلية وصدر الاسلام ، كما أنه أوضح وأدق وأحكم منهجا من غيره من المعاجم الأخرى .

٢ — القاموس المحيط :

ترجع أهمية هذا القاموس الى اختصاره مع المامه فى الوقت نفسه بستين الف مادة من مواد اللغة وهو مرتب على أحرف الهجاء ، والقاعدة فى ترتيبه انه جعل أول الكلمة بعد تجريدها بابا وآخرها فصلا .

ومن عيوب هذا القاموس انه يعرف لفظه بلفظة دون أن يذكر الفرق بينهما ، وذلك من حيث المعنى أو من حيث اللزوم والتعدية ثم أن صاحب القاموس يورد المصدر دون أن يذكر الفعل .

٣ — لسان العرب لابن منظور :

وهو معجم غزير المادة بلغت مواده ثمانين الفا وقد اشار مؤلفه فى مقدمة معجمه انه اطلع على اكثر المعاجم التى الفت فى عصره ولكنه مع شدة اعجابه بها ، وثنائه عليها كان يجد فى كل واحد منها نقصا .

وقد توسع ابن منظور فى شرح المادة اللغوية واستطرد أحيانا الى ذكر أشياء ربما كانت بعيدة عن الموضوع .

٤ — الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور لزينب فواز :

وفيه ترجمت مؤلفته لعدد كبير من شهيرات النساء العربيات والأوربيات، ورتبتهن فى أغلب الأحيان على حروف المعجم .

٥ — معجم الأطباء لأحمد عيسى :

وقد ذيل به على عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن ابى اصيبعة ، ورتبهم على حروف المعجم وذكر النسبة والشهرة للمترجم ، واحال الى اسـمه .

٦ — حلية البشر فى تراجم القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار وترجم فيه لمشاهير هذا القرن ورتبهم فى معظم الأحيان على حروف المعجم .

٧ — روض البشر فى أعيان دمشق فى القرن الثالث عشر لمحمد جميل الشطى ، وقد ترجم لهؤلاء الأعيان ورتبهم حسب اسم المترجم .

٨ — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلى وقد اقتصر المؤلف فى الترتيب المعجمى على اسم المترجم وابيه ، كما أثبت الشهرة التى عرف بها المترجم واحال الى الاسم .

٩ — اعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام لعمر رضا كحالة وقد رتب على حروف المعجم على اسم المترجم فابيه فجده .

١٠ — معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة وهو يبحث فى القبائل العربية وانخاذها قبل الاسلام وبعده ، ويذكر أصولها وفروعها ، وجبالها ، واوديتها ، وعاداتها وقد رتب على حروف المعجم اسم المترجم فأبيه فجده .

١١ — معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، وقد رتب على حروف المعجم اسم المترجم فابيه فجده .

ولا يفوتنا أن نؤكد على ضرورة ان يبذل بعض المتخصصين فى عمل

المعاجم جهودهم لوضع بعض المعاجم التاريخية التى تفتقــر اليها المكتبة العربية مثل .

(أ) معجم تاريخى للبلدان العربية .

(ب) معجم للمصطلحات الأثرية .

(ج) معجم للمصطلحات التاريخية .

(د) معجم تاريخى لأهم الأماكن التاريخية فى مصر .

(هـ) معجم للمعارك الحربية التى خاضتها مصر على مر العصور .

حقيقة لقد بذل مجمع اللغة العربية العديد من الجهود لوضع مجمع تاريخى للغة العربية (١٥) ، كما بذلت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بعض الجهود لعمل قاموس للشخصيات التى ساهمت فى تاريخ مصر (١٦) ، ولكن هذه المشروعات لم ترد النور بعد . والأمل يحدونا فى أن تتضــامر الجهود لاخراج هذا الانجاز الهام .

والجدير بالذكر أن الموسوعات تختلف عن المعاجم ففى حين تتميز الموسوعات بالشمولية وتوفير المعرفة للباحثين والدارسين من كافة جوانبها ومناحيها فان المعاجم تقتصر فى منهجها على توضيح مصطلحات وتعريفات فى علم معين دون غيره من العلوم كمعاجم اللغة مثلا أو معاجم البلدان أو غيرها .

ومع ذلك فالعمل فى الموسوعات والمعاجم يحتاج الى جهود ضخمة وعمل شاق متواصل قد يطول مداه وربما تطوى فيه أعمار دون أن تدرك غايته ومنتهاه .

---

(١٥) للتفاصيل أنظــر . المعجم الوسيط ص ٦ — ٧ .

(١٦) انظــر كتابنا : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — دراسة تاريخية لمؤسسة علمية .

١٦ — تاريخ الأدب :

العمل الأدبى ميزان دقيق يزن فنا رفيعا صبت فيه الانسانية خلاصة تجاربها وخبراتها ، وعبرت فيه عن مشاعرها وأحاسيسها ، وحملته آلامها وأمانيها وتاريخ الأدب جزء من تاريخ الحضارة البشرية ، فالأدب الفرنسى مثلا يضم فى سجله الفنى كل تيارات الأفكار والمشاعر التى امتدت الى الأحداث السياسية والاجتماعية أو تركزت فى النظم . والتاريخ الأدبى يشابه فى صميمه المنهج التاريخى فهو يحاول أن يصل الى الوقائع العامة ، وأن يميز الوقائع الدالة ، ثم يوضح العلاقة بين الوقائع العامة والوقائع الدالة . لذلك كان من المفيد للباحث فى التاريخ الرجوع الى تاريخ الأدب ليستقى منه المعلومات التى ربما لا يجدها فى الوثائق أو المصادر الأصلية وخاصة أن موضوع التاريخ هو الماضى ، وتاريخ الأدب يدرس الماضى أيضا [(١٧)] .

١٧ — الفهارس :

يتوقف تقدم الدراسات التاريخية على تنظيم دور الوثائق والمكتبات ، وهذا يعنى أن عمليتى الفهرسة والتصنيف ضروريتان لتوفير جهود الباحثين خلال تعرفهم على المادة العلمية لبحوثهم . وقد ساعد انشاء أقسام الوثائق والمكتبات بالجامعات على تخريج العديد من المتخصصين فى هذا العلم .

والى جانب ما سبق ذكره فمن المفيد أيضا أن يلم المؤرخ بطائفة أخرى من العلوم المساعدة مثل المنطق الذى يفيده فى عملية البناء التاريخى، وتفهم موضع التاريخ بين سائر العلوم هذا الى جانب علم الأجناس ، وعلم الاقتصاد ، وعلم السياسة وعلم السكان والاحصاء والفلك والنبات والحيوان وغيرها .

---

(١٧) محمد مندور : النقد المنهجى عند العرب ، القاهرة ، دار نهضة مصر د.ت ص ٣٩٧ .

الفصل السادس

مراحل اعداد البحث التاريخى والقواعد المنهجية في كتابته

نظرا لأن التاريخ يبحث فى مخلفات الماضى وسجلاته بهدف تفسير ظاهرة الحاضر وتأسيسها على حكم ناقد يتوخى الحقيقة فانه يمكن حصر مراحل اعداد البحث التاريخى الأساسية فيما يلى :

١ ــ اعداد المصادر والمراجع :

يبدأ الباحث فى اعداد المصادر والمراجع المتصلة بموضوع دراسته ، وبعد قراءتها يقوم بوضع التخطيط الأولى لبحثه فيقسمه الى مواضيع رئيسية أو فصول ، على أن يكون القسم الأول منها للمقدمة التى توضح اهمية البحث والهدف من دراسته ، وموضوعات البحث وأهم المصادر التى رجع الباحث اليها ، كما يكون القسم الأخير للخاتمة وفيها يبرز الباحث اهم ما توصل اليه فى بحثه والجديد الذى أضافه للموضوع الذى قام بدراسته .

٢ ــ مرحلة جمع المادة العلمية :

وفيها يقوم الباحث بجمع كل ما يخص بحثه من مصادر خطية وشفوية وعينية ، ويركز بصفة خاصة على الوثائق لأنه « لا تاريخ بغير وثائق » علما بأن تجميع المادة التاريخية من الوثائق يحتاج الى ملكة فنية عالية ودراية علمية فائقة بالمصطلحات السياسية والادارية وفقه اللغة وقراءة النقوش ، وهذا يحتاج الى اعداد خاص ومعرفة لا تتيسر لكل شخص . وطريقة جمع المادة وتنظيمها تتم على بطاقات متساوية الحجم وتدون الكتابة على وجه واحد منها ويوضع عنوان على كل اقتباس ليوضح ما ورد فى البطاقة من معلومات وتكون الكتابة بالحبر وبخط واضح ،

ويكتب فى أسفل البطاقة اسم المصدر الذى استمدت منه المـــادة وكذلك اسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة ، وبعد أن ينتهى الباحث من جمع المـــادة العلمية يبدأ فى فرزها وتوزيعها على حسب الخطة التى وضعها [١] .

٣ — مرحلة النقد العلمى : (Die Kritik)

بعد تجميع المـــادة الأولية للبحث ، يقوم الباحث بتقدير المـــادة التى جمعها واختيار ما يلزم بحثه منها ، واستبعاد اى مادة غير ضرورية وبعد ذلك تبتدىء مرحلـــة النقـــد فيقوم الباحث بفحص وتحليل عبارات الوثائق والمصادر المتعلقة ببحثه ليتثبت من صحتها ودقة روايتها ، وانتماءات كتابها والمستوى العلمى والادارى لهم ، ودرجة قربهم أو بعـــدهم من الاحـــداث اثناء كتاباتهم حتى يمكنه تقدير قيمتها وأهميتها .

٤ — مرحلة التفسير : Die Hermeneutik

وهى أصعب المراحل ففيها يظهـــر الباحث قدرته وبراعته فى الكتابة دون أن يخرج عن الحقيقة والموضوعية [٢] وعليه أيضا أن يتجنب الاستطراد ويراعى سلامة قواعد اللغة والاملاء وهذه الرحلة تتفاوت عندها مقـــدرة المؤرخين تفاوتا كبيرا .

ففى الوقت الـــذى يقف فيـــه احـــدهم جامـــدا متمســـكا بحـــرفية المصادر التى رجع اليها نـــرى الآخـــر يتجاوز هذه المرحلة فيصور لنـــا روح العصر الذى يكتب عنه ويوضح أحداثه كما لو كان قد عاش فيه وعرف أسراره وخباياه .

هذا عن مراحل البحث التاريخى أما عن القواعد المنهجية فى كتابته فيمكن حصرها فيما يلى :

---

(١) أحمد شلبى : كيف تكتب بحثا أو تعد رسالة ، القاهرة النهضة المصرية ١٩٧٦ ص ٧٦ .

(٢) هرنشو : المرجع السابق ص ١٧ — ٢٢ .

اولا : المتن والحاشية :

المتن والحاشية توأمان فلا متن بدون حاشية وان لم تكتب ولا حاشية بدون متن . والاهتمام بالمتن يجب الا يكون على حساب الحاشية ، فالحاشية هى التى تمكن القارىء من معرفة ما فى المتن من ثمرات المعرفة ومصادرها وهى الاطار الذى يفصل فيه ما قد يغمض فى المتن وهى مرصد لمصادر البحث ومراجعه ، وهى قاعدة الصفحة أو جذورها التى تكشف للقارىء عن عمق المتن وصلابته (٣) .

وفى الحاشية يمكن أن يضع الباحث ما يلى :

١ — الاشارة الى المصدر أو المرجع الذى اعتمد عليه الباحث فى كتابة المتن .

٢ — تفصيل بعض ما يرد فى المتن من معلومات بغرض المحافظة على سياق الموضوع .

٣ — احالة القارىء الى أماكن اخرى سابقة او لاحقة فى دراسته لتحقيق الترابط بين أطراف الموضوع .

٤ — توجيه القارىء الى مصادر أو مراجع اضافية تخدم نقطة فرعية أو ثانوية بغرض التعرف على مزيد من المعرفة .

٥ — نقد النصوص والأدلة التاريخية ، أو وضع نصوص بلغة أجنبية دون ترجمة .

٦ — نقد أو مناقشة راى لمؤلف آخر حول موضوع ورد فى المتن .

---

(٣) عادل غنيم وجمال حجر : فى منهج البحث التاريخى — حول المنهج فى كتابة التاريخ ، الاسكندرية ، دار المعرفة ، ١٩٨٩ ص ٧٣ .

٧ — التعريف بالأعلام وأماكن البلدان الوارد ذكرها فى المتن [٤] وعن ترقيم الحواشى فهناك ثلاث طرق يمكن استعمالها وهى :

١ — وضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حـدة وهى تبدأ برقم (١) وتوضع فى أسفل كل صفحة هوامشها .

٢ — اعطاء رقم مسلسل متصل لكل فصل على حدة ويبدأ من رقم (١) ويستمر حتى نهاية الفصل . وتوضع فى أسفل كل صفحة هوامشها أو تجمع الهوامش فى نهاية الفصل .

٣ — اعطاء رقم مسلسل متصل للبحث كله ويبدأ من رقم (١) ويستمر الى نهاية الرسالة وتوضع فى أسفل كل صفحة هوامشها او تجمع الهوامش كلها لتوضع فى نهاية البحث .

ويراعى ان يفصل صلب الرسالة على الهوامش بخط أفقى [٥] .

ثانيا : طريقة كتابة المصادر والمراجع العربية :

عندما يرد ذكر المصدر او المرجع لأول مرة فى الحاشية يكتب كاملا على النحـو التالى :

اسم المؤلف ، وعنوان الكتاب ، واسم المحقق أو المترجم ان وجد ، والجزء ، ومكان النشر ، والناشر ، وسنة النشر ، ورقم الصفحة . واذا تكرر استخدام الكتاب نفسه فى مواضع اخـرى فان الاشارة الى اسم المؤلف يختصر لتشمل لقبه فقط ، وأما عنوان الكتاب فيمكن أن يحل محله تعبير المصدر السابق أو المرجع السابق وأما عن مكان النشر ، واسـم الناشر ، وسنة النشر فيمكن الاستغناء عنها ، ويكتفى بذكر رقم الصفحة أما اذا تكرر ورود اسم الكتاب فى صفحة واحدة دون فاصل بين المـرات المتكررة بذكر مرجع آخـر فيمكن ان نكتب نفس المرجع أو نفسه .

---

(٤) نفسه ص ٧٤ .

(٥) شلبى : مرجع سابق ص ١١٢ — ١١٣ .

ثالثا : طريقة كتابة المصادر والمراجع الأجنبية :

تتبع مجموعة القواعد المستخدمة فى المصدر أو المرجع العربى ، ولكن عند الاشارة الى ذكر الصفحة يوضع حرف (P) اختصارا لكلمة Page ويعنى صفحة رقم (كذا) وعند الاشارة الى اكثر من صفحة يوضع حرفا PP. متجاورين مع وضع نقطة واحدة بعدهما معا ، وتعنى من صفحة رقم (كذا) الى صفحة رقم (كذا) وعند الاشارة الى فصل كامل من كتاب فلا تذكر أرقام الصفحات ويكفى تحديد رقم الفصل مع استخدام هـــذا الاختصار Chap الذى يعنى فصل Chapter ، واذا تكـــرر فى الحاشية ورود اسم كتاب فى صفحة واحدة دون فاصل بين المرات المتكررة بذكر مرجع آخـــر يكتب Ibid أما اذا تكرر الكتاب فى الصفحة الواحدة ووجد فاصل بين المرتين بذكر كتاب آخـــر يكتب .op. cit وهى تعنى opere Citato ومعناها المصـــدر الســـابق ، وفى حالـــة وجود اكثر من مصدر لمؤلف واحد ، وذكر أحد هذه المصادر للمرة الثانية مع وجود فاصل بذكر مصدر آخـــر يجب أن يكتب اسم المؤلف واسم الكتاب . أما عن ترتيب المصادر فى القائمة الببليوجرافية فى نهاية البحث فيكون ابجديا حسب اسم عائلة المؤلف ، وعن رقم الطبعة فيختصر فى الانجليزية بحرفى .E. D أما عن الجزء فيختصر VOL .

وقد يواجه الباحث صعوبات فى اثبات بيانات النشر سواء فى العربية أو الانجليزية من مثل عدم وجود اسم الناشر ، أو مكان النشر ، أو تاريخ النشر على غلاف الكتاب ، والطريقة التى يمكن اتباعها للتغلب على ذلك هى :

١ ــ اذا غاب مكان النشر يستخدم الرمز د.م أى دون مكان .

٢ ــ اذا غاب اسم الناشر يستخدم الرمز د.ن أى دون ناشر .

٣ ــ اذا لم يتيسر التعرف على تاريخ النشر يستخدم الرمز د.ت أى دون تاريخ .

ثالثا : هيئة البحث :

١ — صفحة العنوان .

توضـــع فى أول ورقـــة فى البحث صفحة العنـوان وتشمل الترتيب التـــالى :

(أ) عنوان البحث .

(ب) اسم مقدم البحث .

(جـ) المشرف على البحث .

(د) اسم الكلية التى يتبعها الباحث وكذلك القسم أو الشعبة ، والعـــام الدراسى الذى كتب فيه البحث .

٢ — محتويات البحث :

(أ) الفهرس ويكتب به أبواب وفصول الدراسة وارقام الصـــفحات عند بداية كل باب أو فصل .

(ب) المقدمة وتحسب صفحاتها بالحروف الأبجدية .

(جـ) أبواب أو فصول البحث .

(د) الخاتمة .

(هـ) الملاحق .

(و) مصادر ومراجع البحث وترتب حسب أهميتها فتبدأ بالوثائق والمخطوطات ومكان وجودها ورقمه ثم يذكر الكتب العـــربية ويليها الأجنبية واخيرا تذكر الدوريات العلمية وغيرها (٦) .

---

(٧) شلبى : مرجع سابق . ص ١٥٧ .

الفصل السابع

الوثائق وأهميتها فى الكتابة التاريخية

الوثيقة فى اللغة العربية لفظ محدود المعنى ، وعام فى نفس الوقت لم تعطه المعاجم العربية القديمة والحديثة على حد سواء ما يستحقه من شرح وتعريف بالمراد منه . وقد يكون القدامى ، من اللغويين معذورين فى ذلك ، لأن علم الوثائق لم يكن معروفا لديهم حينئذاك أو على الأقل لم يكن معروفا لديهم بهذا الاسم (١) ومن هنا جاء تعريف الوثيقة فى معاجم اللغة على أنها مؤنث الوثيق ومعناه المحكم أو ما يحكم به الأمـر ، ويقال أخذ بالوثيقة فى أمره بمعنى بالثقة (٢) واسم التفضيل من هذه الكلمة هو الأوثق، والمؤنث منه وثقى (٣) . وقد جاءت هذه الكلمة فى سورة البقـرة فى قوله تعالى « فقد استمسكَ بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »(٤)

ونتيجة لهذه العمومية فى توصيف الوثيقة فقد اختلفت الآراء حـول تحديد مفهوم الوثائق فبعض المؤرخين يقصد بها المستندات التى تصـدر من جهات رسمية أو من أفراد لهم صفة رسمية وتعرف فى هذه الحـالة بالوثيقة القانونية كالأوامـر ، والقرارات والمراسيم والاتفاقيات والمعاهدات، هذا الى جانب الرسائل التى تحمل هذه الصفة ، وبعضهم الآخـر يقصد بها كل ما خلفه الحدث التاريخى من آثار بمعنى أن لكل مكتوب قيمة تاريخية

---

(١) د. سلوى ميلاد : الوثيقة القانونية ، ماهيتها ــ أجزاؤها أهميتها، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ ص ١٠ .

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط جـ ٢ ، القاهرة ، صفحة ١٠٢٣ .

(٣) بطرس البستانى : محيط المحيط ، بيروت ، مكتبة لبنان ١٩٨٣ م صفحة ٩٥٦ ــ ٩٥٧ .

(٤) الآية ٢٥٦ .

حتى لو لم يكن لمحررها صفة رسمية (٥) ومعنى ذلك أن روايات شهود العيان ، وكشوف اسماء طلاب الجامعات والمدارس والتعليمات الموجهة اليهم ، وقرارات وخطب رؤساء الأحزاب وغيرها تدخل فى مفهوم الوثائق (٦) .

وتوسع البعض فى تعريف الوثيقة فقال انها كل آثار السلف حتى ولو كان ذلك خطابا من ابن الى أبيه أو من صديق الى صديقه ، أو بيان حساب لأحد التجار أو حجابا من الأحجبة أو تعويذه من التعاويذ أو ايصال دين أو قائمة باسعار بعض السلع أو ما شابه ذلك وبخاصة وأن كل ذلك قد يكون ذا أهمية كبيرة فى دراسة التاريخ الاقتصادى والتاريخ الاجتماعى والثقافى وغير ذلك من الميادين الجديدة فى علم التاريخ (٧) .

وحتى يمكن حسم هذا الموضوع فسنعرض لبعض ما ورد فى أنظمة بعض دور الوثائق المتقدمة فى العالم . ففى قانون دار الوثائق العامة فى لندن الصادر فى ١٨٣١/٨/١٤ م (١٢٤٦ هـ) نص على أن الوثيقة تعنى الملفات والسجلات والحجج والمستندات ، ومحاضر الجلسات والمراسيم، والاشعارات واللوائح القانونية ، وكشوفات الجرد،والكشوفات الحسابية، والأوراق ، والكتب .

وفى القانون الأمريكى الصادر فى ١٩٤٣/٧/٧ م (١٣٦٦ هـ) جاء تعريف الوثيقة بأنها الكتب والأوراق والخرائط والصور الفوتغرافية أو اية مواد وثائقية بغض النظر عن شكلها الطبيعى أو صفتها .

---

(٥) د. على الغمراوى : تقرير ببليوجرافى عن بحوث فرنسا ونشراتها فى القرن الثامن عشر . مجلة العلوم الاجتماعية بالرياض ، العدد السابع ١٤٠٣ — ١٩٨٣ ص ١٠٧ .

(٦) د. عبد العظيم رمضان : المذكرات السياسية واهميتها بين وثائق تاريخ مصر المعاصر — دراسة غير منشورة ضمن بحوث ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، ١٩٧٧ ص ٣ .

(٧) د. حسنين ربيع : وثائق الجنيزة واهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، بحث منشور ضمن الجزء الثانى من مصادر تاريخ الجزيرة العربية ص ١٣١ .

وعند تقييمنا لهذه الآراء يتضح انه اذا قصرنا مفهوم الـوثيقة على الوثائق الرسمية فاننا قد نصل الى نتيجة قد لا يقبلها المنطق والواقع ، وقد تبعدنا عن الموضوعية وهى أن الكثير من أصول الأحداث التاريخية ليس لها صفة رسمية أو حكومية ، وان الوثائق الرسمية فى كثير من الأحيـان لا تفى بالغرض المطلوب فى تفسير الأحداث مما يحتم على الباحث الرجوع الى كل ما تركه الحدث التاريخى من آثار ، وهـذا يعنى أن العـديد من الدراسات الرصينة لا تعد دراسات موثقة ومن هنا فنحن نتفق مع الرأى الذى يـرى توسيع حد الوثيقة ونرى ان كل ما خلفه الحدث التاريخى من آثار يدخل فى عداد الوثائق كما نضيف الى ما سبق ذكره ضرورة وضـع التسجيلات الصوتية والارشيفات الفوتوغرافية والسينماتوغرافية ضـمن تعريف الوثائق خصوصا وانه ليس من المنطقى ان لا ندخل جلسـات المؤتمرات الدولية المسجلة صوتيا والمحفوظة بوزارات الخارجية وفى هيئة الأمم المتحدة ، وفى وزارات الأعلام والمؤسسات العلمية وغيرها ضمن نطاق الوثائق بل ينبغى أن يشتمل دور الوثائق العربية على ارشيف الوثـائق الصوتى Archive Snore والذى قد يكون فى المستقبل هـو ارشيف الغد .

وعن اهمية الوثائق فقد اختلف المؤرخـون والعاملـون فى حقـل الدراسات التاريخية أيضا فى تحديد مدى أهمية الوثائق فمعظمهم نعتهـا بالعديد من النعوت التى تبرز قيمتها وأهميتها ، وبعضهم شكك فى ذلك وعن المجموعة الأولى : فقد وصفوها بأنها قطع من حياة الأسلاف ، وشهود معاصرة للوقائع التاريخية ، وأقوى المصادر حجة فيما يتعلق بتصـوير الحياة اليومية وبتحديد التواريخ والأماكن وكثيرا ما يؤدى اهمالهـا أو الاستغناء عن بعضها الى أن يخطىء المؤرخ فى أحكامه (٨) ، وانها المـادة الخام التى تحمل بين سطورها تراث الأمم وحضارتها ، وهى الشاهـد الأكبر على تراث الأمم وتاريخها ، وهى سند المؤرخ القوى الذى يجـد بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقـات

---

(٨) د. أحمد السعيد سليمان : وثائق التاريخ العـربى وكيفيـة صيانتها . حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس . المجلد التاسع ١٩٦٤ .

المفقودة ، وهى المصادر الأصلية والأساسية لدراسة التاريخ لكونها منبعا بكرا يرد فيه الكثير مما لم يتوصل اليه المؤرخون (٩) وهى الأصول التى لا يمكن كتابة التاريخ الصحيح أو تحقيق الحوادث التاريخية بدونها ، وهى التى تتسم بالاصالة والتفرد والعطاء — وبخاصة اذا كانت تسد فراغا فى تاريخ البشرية ، وهى المصادر النزيهة التى يصعب الشك فى صحتها ، وبخاصة وأنها لم تكتب أصلا بغرض التأليف التاريخى (١٠) يضاف الى ذلك أنها أفضل موصل لتبيان الحقيقة التى تجعل المؤرخ يقف على حقائق الأمور دون أدنى شك أو مواربة ، وترفع الستار عن الكثير من القضايا التاريخية التى يشوبها الغموض والتى لا يزال بعضها ألغازا محيرة (١١) مما قد يؤدى الى تغيير مفاهيم خاطئة قد توارثها الآباء عن الأجداد ، والأبناء عن الآباء فأخذت ثوب الحقيقة فى غير استحقاق (١٢) ، كما أنها مصدر للمعلومات من الدرجة الأولى يفتح لنا أبوابا جديدة ومتعددة للدراسة لكونها مصدرا مهما سطر فيه الكثير مما أغفله المؤرخون فى كتاباتهم كما أن فقدها أو تعرضها للتلف والضياع يزيد من الفجوات فى مجرى التاريخ ، ويجعل حلقات كثيرة منه مجهولة الى الأبد .

والى جانب ذلك فان كل وثيقة لا يتسنى لأحد الوصول الى قراءتها تعد وثيقة ميتة ، وهذا هو شأن الوثائق التى ما زالت مطمورة حتى الآن فى بعض الخزائن الحكومية والخاصة أو فى حوزة جماعة تحاول احتكار الوثائق أو بسبب ظروف خاصة تحول دون نشرها ، وفى تلك الحالات تظل هذه الوثائق معطلة ، ولا يمكن الافادة منها فى البحث التاريخى الا اذا خرجت من مخابئها الى طريق النور حيث يتم نشرها والاستفادة من

---

(٩) محمود عباس حمودة : المدخل الى دراسة الوثائق العربية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ص ٣ .

(١٠) لم يكن لدى الناس الذين دونوا أعمالهم منذ مئات السنين أية معلومات محددة عن الطريقة التى يعمل بها المؤرخ المعاصر .

(١١) الدارة : العدد الأول ، شوال ١٤٠٥ / يونيو ١٩٨٥ ، مقال للاستاذ عبد الله الحقيل تحت عنوان « أهمية تجميع تراثنا الوثائقى المتناثر فى مكتبات العالم ص ١٩٠ .

(١٢) لم يعد مجهولا أن أجيالا متعاقبة من ابناء مصر قرأت تاريخها الوطنى على غير حقيقية .

معلوماتها ، وتحويلها من مادة خام صامتة الى معلومة تاريخية قد تضيف الى المعرفة شيئا جديدا .

اما عن المجموعة الثانية فقد شككت فى مصداقية الوثائق ودقتها وحجتها فى ذلك أن العديد من الوثائق تعبر عن راى أصحابها الذى قد لا يخلو من التحيز ، وانها قد تحتوى على معلومات خاطئة او محرفة أحيانا تكون قد بلغت الى احد المسئولين فبادر بايصالها الى حكومته دون التثبت منها أو ربما كان احد الأشخاص قد حاول تزوير ما فيها من معلومات لذلك لا يجوز للمؤرخ أن يقبل ما جاء فى الوثائق وبخاصة انها لا تحتوى الا على ما كان يفكر فيه صاحب الوثيقة .

والواقع أن كلا من الرأيين له وجاهته فعلى الرغم من أنه لا يوجد شك كبير فى اصالة وحياد الوثيقة ونزاهة كاتبها ، وبخاصة انه عاش فى وقت لم يكن فى ذهنه أن ما كتبه سيكون ذا قيمة تاريخية بعد ذلك أو سيعتمد عليه فى التأليف التاريخى [١٣] ؟ لذلك تنتفى الأهواء الذاتية عن الوثيقة التاريخية وتصبح مصدرا رئيسا المعلومات من الدرجة الأولى [١٤] فانه من المعروف أن بعض الوثائق لاتخلو من التحيز والهوى أو التحريف لذلك فانه لا يجوز للمؤرخ ان يقبل كل ما جاء فى الوثائق بل ان مهمته هى غربلة المعلومات الموجودة بالوثائق ومقابلتها بغيرها من المصادر للتوصل الى الحقيقة ، والتعرف على ملابسات الواقع. فعلى الرغم من أهمية الوثائق فانها فى حد ذاتها لا تصنع الحقيقة التاريخية بل تظل اداة خرساء فى يد من لا يعرف كيف يضفى من علمه وخبرته فيها[١٥] .

---

(١٣) د. حسنين ربيع : البحث السابق ص ١٣١ .

(١٤) د. سلوى ميلاد : وثائق أهل الذمة فى العصر العثمانى واهميتها التاريخية ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٣ ص ٣ .

(١٥) يرى البعض ان مجرد العثور على الوثائق ونشرها ومناقشتها يكون ذات فائدة للتاريخ .

انظر : لويس جوتشلك : كيف نفهم التاريخ — مدخل الى تطبيق المنهج التاريخى — ترجمة عائدة سليمان واحمد ابو حاكمة ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٦ .

وبخاصة وان الوثائق لا تعطينا صورة سينمائية عن الحادث وانما تمدنا بصور متناثرة ، بينها وبين البعض الآخر الكثير من أنواع النقص وعدم الارتباط والاختلال وان دراستها وتحليلها واكمال كل نقص وسد كل ثغرة بينها ، وتنقيتها كما تنقى الحبوب الطيبة من الحصى والقشر يحتاج الى مؤرخ يتمتع بموهبة خاصة يستطيع بها احياء الماضى بكل ما كان عليه وأن يميز بين الحقيقى وغير الحقيقى مستعينا فى ذلك بكل تجاربه [١٦] حتى يروى الحدث بالدقة والتحليل المناسبين وهو يستتر خلف الشواهد المعترف بانها صادقة ، كما يحتاج أيضا الى مؤرخ واسع الثقافة ، وناقد حصيف يتمتع بمقدرة علمية عالية ، والمعية معالجة المسائل التاريخية والتعرف على ملابسات الواقع فيجتهد فى ابراز ما بها من خفايا وايضاح الجديد فيها ، وتلك هى الغاية الأولى للتاريخ ، فاستخلاص الأحكام التى تتعلق بالانسان ، والاجابة على الاسئلة التى تتعلق بجهود البشرية ومنجزات الانسان فى الماضى بما فيها من عبر وعظات ، وذلك للسير على منوالها فى المستقبل ولا سيما ان الاحاطة بأعمال الانسان ، والالمام بدقائق الحياة اليومية فى العصور الماضية بمثالبها ومشاربها يمكن ان تفيد انسان الحاضر فى تجنب أخطاء من سبقوه ، والسير على منوال محاسنهم ومآثرهم اذ ان الحضارة الانسانية ليست بنت ساعتها ، بل هى تراث عصور ومجهودات أمم وشعوب عاش الانسان كل تجاربها حتى ظهرت لنا حضارة القرن العشرين . ومن هنا ينبغى أن يخطر ببال أساتذة الجامعات من المؤرخين الذين يفنون أعمارهم فى البحث عن الحقيقة ، ويدفنون أنفسهم فى الوثائق والاحصاءات ان الماضى ميت الا بمقدار ما يؤثر فى أخلاق وغايات الأحياء من الناس ، وأنه لا قيمة للتاريخ الا بمقدار ما ينير الحاضر ، ويعين على توجيه المستقبل وانه اذا ما كتب التاريخ بهذه الطريقة فسيعرف العالم حقيقة الطبيعة البشرية معرفة افضل مما يكتبه علماء النفس والفلسفة والاجتماع فى العالم [١٧] .

---

(١٦) عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ص ٢١٩ .

(١٧) ول ديورانت : مناهج الفلسفة — ترجمة احمد فؤاد الأهوانى — القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٥٥ ص ٨ .

وعلى كل حال فبعد أن اتضحت اهمية الوثائق فى الكتابة التاريخية أخذت الارشيفات الخاصة بها فى التطور فبعد أن كانت مخازن للملفات غير المستعملة ، ومأوى لمخلفات المصالح الحكومية ، ومستودعا للحشرات [١٨] اصبحت بمثابة المعامل الحديثة للدراسات التاريخية وقد تطورت هـــذه المعـــامل ، ونظمت بحيث تلبى حاجة الباحثين وظهـــرت منها أنـــواع جديـــدة .

ومن المعروف ان مصر كانت من أوائل الدول العربية التى تنبهت الى اهمية وثائقها فاصدرت مرسوما وزاريا فى عام ١٩٥٤ بانشاء لجنة الوثائق التاريخية لجمع كل مواد المحفوظات ذات الفائدة التاريخية فى ادارة مركزية تدعى دار الوثائق .

---

(١٨) يذكر أسد رستم انه عندما صعد الى القلعة فى عام ١٩٢٥ لتفقد الدفتر خانة المصرية وجد أوراقها وسجلاتها مكدسة بعضها فوق بعض فى اكياس لا يؤمها سوى الجراذين والثعابين .

انظـــر : مجلة المشرق البيروتية الجزويتية ١٩٣٧ ص ٤٧٧ .

الفصل الثامن

مدرسة التاريخ الحديث في القرنيين التاسع عشر والعشرين

ارتبطت حركة التأليف التاريخى فى مصر قبيل ظهور المدرسة التاريخية الحديثة بالاهتمام بذكر سير العظماء وغرائب الحوادث وتاريخ الملوك والساسة والحكام والافاضة فى التعرض لمولدهم وذكر سيرتهم الذاتية من حيث بيان نشأتهم ووصف حفلات زفافهم والاسهاب فى ذكر روحاتهم وغدواتهم ، وابراز محاسنهم وتبرير اخطائهم ، حتى مظاهر الأبهة والفخامة التى كانوا يحاطون بها عقب وفاتهم لم يغفلوها بل قاموا بطلائها بطلاء مذهب أما تاريخ الشعوب والأمم ، وتصوير مشاعر الناس على أسس من الدق وعدم الانحياز لارضاء الحاكمين أو التملق لهم فلم يحظ بمثل هذا الاهتمام ، ولم تسلط الأضواء على أحوال الناس وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية ، على الرغم من أن الشعوب هى التى صنعت التاريخ ، وكانت الطاقة الحقيقية له حتى جعلته يتوهج أو يخبو ولم يكن الملك أو الحاكم الا واجهة تعبر عن ذلك .

يضاف الى ذلك أن هؤلاء المؤرخين لم يسخروا طاقاتهم لخدمة مصالح وطنهم على أسس من الحق والحكم على الوقائع بطريقة موضوعية . واستمر الحال على هذا المنوال فترة حتى برزت النهضة التاريخية الحديثة، واخذ المؤرخون فى توجيه جهودهم الى تاريخ حياة الشعوب واحوالها بما فيها من مباهج ومآس ، والى اتجاهاتهم الفكرية وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومظاهر حياتهم المختلفة بخيرها وشرها حتى صار تاريخ الملوك والحكام لا يذكر الا من خلال الحديث عن شعوبهم .

ولما كانت الركائز السياسية فى كتابة التاريخ تتمثل فى الصدق والموضوعية وتهيئة السبل كلها للحق فقد بدأ المؤرخ المصرى عبد الرحمن

الجبرتى [١] فى سلوك هذا الاتجاه نذكر فى كتابيه الهامين « عجـــائب الآثار فى التراجم والأخبار » [٢] و « مظهــر التقــديس بذهــاب دولــة الفرنسيس » [٣] الحقائق التاريخية دون مواراة او مجاملة لحاكم او لغيره، وعالج مشاكل الحياة والمجتمع المصرى معالجة البصير بالأمور ، وحكـم عليها حكما مقبولا مما جعل البعض يصف ما كتبه بانه « أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر » الهجريين [٤] . وانه تاريخ ممتاز للحوادث التى وقعت فى مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر .

---

(١) حبشى الأصل مصرى الوطن ، نشأ فى بيت علم وثراء ، وكان بيت والده موئل العلماء ومقصد الكبراء ، وكان لنشأته فى بيئة علمية دينية ما جعل كتابته تتسم بسمة مشايخ العصر وقد عاش الجبرتى فى عصر يمكن وصفه بأنه عصر انتقال مصر من حياة العصور الوسطى الى العصور الحديثة ، ومن هنا صور فيما كتبه مصر عند مفترق الطرق ، وقدم لنا المرآه التى نرى على صفحتها الانتقال من عالم حكم عليه بالزوال الى عالم جديد كان لابد من الدخول فيه .

من تقديم شفيق غربال لكتاب عجائب الآثار الذى قام بتحقيقه نخبة من رجالات التربية والتعليم ونشر فى عام ١٩٥٨ .

(٢) طبع عدة طبعات كانت أولاها فى مطبعة بــولاق عـــام ١٢٩٧ هـ والثانية فى المطبعة الشرفية فى عام ١٣٢٣ هـ وكلتاهما فى أربعة اجزاء ، ثم توالى بعد ذلك طبعه . وترجم هذا الكتاب الى الفرنسية فى تســعة أجزاء فى عام ١٨٨٨ وقامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه تحت اشــراف المرحوم محمد شفيق غربال ونشرته فى عام ١٩٥٨ .

(٣) يؤرخ هذا الكتاب للحملة الفرنسية على مصر ، وكان الجبرتى قــد أهداه الى يوسف باشا القائد العثمانى الذى دخل القاهرة فى اعقاب خروج الفرنسيين منها . وقد قامت وزارة التربية والتعليم بنشره وتحقيقه فى عام ١٩٦١ .

(٤) راجع ما كتبه « مكدونالد Macdonald فى ترجمته للجبرتى فى دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « جبرتى » .

وما كتبه لين فى كتابــه Modern, Egyptian ومن المعــروف ان الجبرتى سجل تاريخه بطرقة الحوليات طبقا لمنهج حديث يتسم بالدقـــة والموضوعيـــة .

ويمكن ان نرجع ذلك الى ما يلى :

١ — ان ما كتبه الجبرتى يعد وثيقة هامة حول التأثير الموضوعى للحملة الفرنسية على مصر .

٢ — أنه يقدم صورة واقعية للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة بين أفراد المجتمع المصرى فى ذلك الوقت ومدى ما يكنه أفراد الشعب المصرى للمماليك من كراهية .

٣ — موضوعية الجبرتى فى كتابته فعلى الرغم من كراهيته للفرنسيين فانه كان يشيد بالمظاهر الايجابية فى سياستهم مثل فكرة المساواة بين الناس أمام القانون ورفضهم للسخرة وتشكيلهم للديوان واهتمامهم بصياغة النظام القضائى وعدالتهم فى الأحكام خاصة اثناء محاكمتهم لسليمان الحلبى قاتل كليبر .

٤ — انتقاده لسياسة محمد على فى مصر ، وموقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، على الرغم من انه يعلم جيدا ان ذلك سيسبب له المتاعب ، وقد يعرض حياته ، وحياة اسرته للخطر . ومن المعروف أن ذلك . قد جلب عليه الضرر البليغ ففقد ابنه خليل الذى قتله جنود محمد على أثناء صلاة الفجر ثم فقده بصره حزنا وكمدا على ابنه ، يضاف الى ذلك ان منزلة أحرق بعد وفاته بسبب كتاباته المعادية لمحمد على ونتيجة لذلك نفر المصريون من كتابة تاريخهم الحديث حتى لا يقعوا تحت طائلة اضطهاد أسرة محمد على كما حدث للجبرتى ، وكرهت أسرة محمد على أيضا ان يشتغل المصريون بدراسة تاريخهم الحديث ، وخاصة أنهم كانوا يريدون الا يدون من تاريخهم سوى ما يروقهم ، وأن يكتب المؤرخ التاريخ على الصورة التى ترضيهم ولا تغضبهم .

ومن هنا ابتعد المصريون عن كتابة تاريخ بلادهم السياسى واخذ بعضهم فى تنمية ميوله وثقافته عن طريق ترجمة بعض الكتب التى تغطى تاريخ العالم منذ اقدم العصور أو التى تتطرق الى الأمور الثقافية والتربوية

والأدبية كما فعل رفاعه الطهطاوى وتلاميذه (٥) فقد اصدر رفاعه بجانب المؤلفات التى ترجمها هو وتلاميذه عدة مؤلفات مشهورة حاول فيها قدر الامكان عدم التعرض لواقع مصر المعاصر او لأسرة محمد على فتطــرق للكتابة فى تاريخ مصر القديم وفى السيرة النبوية فكتب فى تاريخ القـــديم « انوار توفيق الجليل فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » وفيه تعرض لعصـــور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين وختمه بالفتح العـــربى لمصر وكتب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا بعنوان « سيرة ساكن الحجاز » تتبع فيه حياة الرسول منذ مولده الى وفاته .

ولرفاعة غير هذين الكتابين مؤلفات لها قيمتها التاريخية فحول رحلتـه الى باريس كتب « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » وحول مـــا يخص آداب عصره وتربية الناشئة كتب « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » و « المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين » .

هذا الى جانب اصداره لأول مجلة ثقافية علميـــة تصـــدر فى مصر فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع على باشا مبارك وهى « مجلة روضة المدارس المصرية » التى صدر العدد الأول منهـــا فى الخامس عشر من المحرم عام ١٢٨٧ هـ الموافق ابريل ١٨٧٠ م والتى كانت تطرح تساؤلات عدة أهمها : على أى منهج يكون تحول مصر الحضارى ؟ هل نعود الى الماضى وننعم بالعيش فى فردوسه المفقود ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز قفزا الى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ؟ وكان الجواب حاضرا تجسده شخصية رفاعة الطهطاوى الذى كان ثمرة ناضجة من ثمار امتزاج الماضى بالحاضر ، وتكوين مركب جديد فيه أنضر ما فى الماضى من صفحات ، وأعذب فى الحاضر من منجزات (٦) .

---

(٥) للتفاصيل انظر جمال الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥١ ، ص ١٥١ — ١٥٤ .

(٦) محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ص ١٣ .

كما انكب بعضهم على دراسة تاريخ مصر العمـرانى والاجتمـاعى والتعليمى كما فعل على مبارك فى كتابه « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهـرة ، ومدنهـا وبلادهـا القديمـة والشـهيرة » (٧) . والـذى يعـد من أهم المصـادر فى دراسـة تـاريخ مصر الاجتماعـى فى القـرن التاسع عشر هذا الى جانب أن انشاء مجلة روضة المدارس كانت من وحى على مبارك وثمار تفكيره حين كان وزيرا للمعارف وهـو الذى عهـد الى رفاعه الطهطاوى بأن تكون تحت نظارته .

ومن المعروف ان هذه المجلة اهتمت بالتاريخ وحرصـت على نشر الجداول التاريخية للوقائع العالمية الشهيرة والحوادث الكبيرة ، كما تطرقت فى موضوعاتها الى بيان سلاطين آل عثمان الى عهد السلطان عبد المجيد خـان .

يضاف الى ذلك ان على مبارك الف كتبا عديدة فى العلوم والثقـافة منهـا « تقـريب الهندسـة » ، « وروايـة علم الـدين » (٨) وكتـاب « حقائق الاخبار فى أوصاف البحار » (٩) وكتاب « تنويـر الأفهام فى تغذى الأجسام » وكتاب « خواص الأعداد » وسارت الأمور على هذا المنـوال

---

(٧) أراد على مبارك أن يكمل فى هذا الكتاب ما كتبـه المقـريزى فى خططه ، وهـو عبارة عن موسوعة هامة تضم العديد من التراجم للاعلام ، كما تتناول معلومات هامة عن القـرى والمدن المصرية بما فيها من مؤسسات دينية وثقافية خلال القرن التاسع عشر .

(٨) قصة فى أربعة مجلدات قسمت الى مسامرات بلغت ١٢٥ مسامرة وتدور حول رجل ازهـرى تتلمذ عليه مستشرق انجليزى تعلم منه العـربية وعلمه الانجليزية وسافـر معه الى انجلترا ومن خلال ذلك يرصد على مبارك أهمية الاحتكاك الحضارى بين الشعوب .

(٩) طبع فى مطبعة وادى النيل ، ويبلغ عدد صفحاته ٨١ صفحة .

الفترة فكتب اسماعيل سرهنك [١٠] حقائق الأخبار عن دول البحار تعرض فيه لبعض الدول البحرية القديمة والحديثة ، فتكلم عن موقعها الجغرافى وأرخ لثغورها الحربية والتجارية ثم تعرض لتأسيسها ومشاهير ملوكها ، وما عاصرهم من الأحداث ولعل أهم أجزاء هذا الكتاب هو الجزء الثانى الذى انفرد تاريخ مصر بالقسط الأكبر منه .. وترجع اهميته الى أنه ملىء بالبيانات والاحصاءات والوثائق الهامة هذا الى جانب تعرضه لتراجم عديدة لمشاهير البحرية والجيش المصرى فى القرن التاسع عشر . وقد ساعد سرهنك فى تأليف هذا الكتاب ثقافته العسكرية ودراسته البحرية لعلوم الفلك والجغرافيا والرياضيات وفن الملاحة هذا الى جانب استيعابه للعديد من اللغات ومن أهمها العربية والتركية والانجليزية والفرنسية .

ونتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مرت بها مصر فى أواخر عصر اسماعيل والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب ثم حضور جمال الدين الأفغانى الى مصر ، وظهور الصحف السياسية ، كان لكل ذلك اكبر الأثر فى ظهور طبقة من المصريين البارزين فى مجالات الفكر والسياسة والزعامة امثال محمد عبده وعبد الله النديم والبارودى ، واحمد عرابى ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد وغيرهم فبذروا بذور النهضة وأعدوا خمائرها وقامت على اكتافهم الحركة الوطنية المصرية وبدءوا يكتبون فيما يجيش فى صدورهم من موضوعات سياسية ووطنية ، فكان لذلك أثره فى ظهور ثورة فكرية ، والى تطلع الناس الى الحرية والنظم الدستورية ، وقد ظهر ذلك فى أواخر عصر اسماعيل ثم اتسع مداه فى أوائل عصر توفيق وبخاصة فى أثناء الثورة العرابية فبدأ هؤلاء يكتبون عما يعانيه وطنهم من آلام ، وما يجيش فى صدره من

---

(١٠) ولد فى عام ١٨٧٦ والتحق بالمدرسة البحرية بعد اتمام دراسته الابتدائية ، وتخرج ضابطا منها ، وتولى قيادة كثير من سفن الاسطول المصرى ، وشارك فى العديد من العمليات الحربية البحرية .

(١١) يتكون من ثلاثة أجزاء طبع الجزء الأول فى مطبعة بولاق عام ١٨٩٦ وطبع الجزء الثانى فى عام ١٨٩٨ أما الجزء الثالث فقد طبع فى عام ١٩٢٣ أى بعد صدور كتاب على مبارك « حقائق الأخبار فى أوصاف البحار » بربع قرن تقريبا .

آمال بهدف حفز الهمم وايقاظ العقول ، وتقوية الوعى الوطنى لدى أبنـاء الشعب المصرى فكتب محمد عبده « تاريخ أسباب الثورة العرابية » وكتب أحمـد عرابى « كشف الستار عن سر الأسرار » وكتب عبد الله النديـم مقالاته اللاذعـة فى جرائد « التنـكيت والتبـكيت » و « الطـائف » و « الأستاذ » ومؤلفاته الأخـرى ومنها « تاريخ مصر فى هذا العصر » و « كان ويكون » و « المسامير » و « سلافة النديم » وكتب محمود فهمى المهندس فى منفاه « البحر الزاخـر فى تاريخ العالم واخبار الأوائل والأواخر» وقد دافع هؤلاء القـادة عن الثـورة وبرروا أسباب فشلها كما هاجموا التدخل الأجنبى لبلادهم ، ثم تبعهم فى ذلك من تحمل عبء الكفاح من بعدهم فكتب مصطفى كامل الى جانب مذكراته العديد من المؤلفات منها « المسألة الشرقية » و « بلاد الشمس المشرقة » (١٢) وكتب محمد فـريد بالاضافة الى مذكراته « تاريخ الدولة العلية العثمانية » و « البهجـة التوفيقيـة فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية » ويتضح من هذه الكتابات أن مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من رجالات الحـزب الوطنى قد اتخـذوا من دراستهم القانونية ومن وقائع التاريخ المصرى حججا لاثبات عدم شرعية الاحتلال البريطانى ، وتبعية مصر للدولة العثمانية .

وجملة القول أن كتابات ومذكرات قادة الثورة العرابية وزعمـاء الحزب الوطنى كان لها اكبـر الأثر فى تنمية الوعى التاريخى لدى الشعب المصرى ، وخصوصا أنه فى أعقاب الاحتلال الانجليزى لمصر تخرج الطلاب من المدارس العالية وهم لا يعرفون من تاريخ بلادهم سوى النذر اليسير حتى المناهج التاريخية التى لقنت لهم ركزت اهتمامها على الغـرب أكثـر من عنايتها بتاريخ مصر وحضارتها وكان التاريخ المصرى يعرض على الطلاب عرضا جافا مختصرا بشكل مخل دون تناسق أو ارتباط بين أجزائه المختلفة وبقـى الحـال على ذلك حتى ظهـرت الاحـزاب السياسـية فى مصـر واخـذ تأثير العـاطفة السياسـية لدى بعض الكتاب يدفعهم الى التأثر بلون من الوان الحزبية ، فيمدح هذا حزبه ويبرر ذلك مواقفه ثم يأتى كاتب آخـر ويذم هذا الحزب وينهمه بالتقصير ، وقد سـاعد على

---

(١٢) يعنى بها اليابان .

استمرار هذه النزعة غير العلمية أن مدرسة التاريخ الحديث لم تقم فى بداية أمرها على اكتاف مؤرخين متخصصين فى كتابة التاريخ ودراسته فباستثناء عبد الرحمن الجبرتى ورفاعة الطهطاوى قامت هذه المدرسة على أكتاف الهواة الذين كتبوا التاريخ المصرى اشباعا لرغبة ، لا التزاما بمهنة فمثلا نجد أن عبد الرحمن الرافعى الذى كتب العديد من المؤلفات فى تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية وحتى ثورة ٢٣ يوليو كانت مهنته الرئيسية هى المحاماة ، وينطبق ذلك أيضا على بعض زعماء الحزب الوطنى أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد فقد كانا من الحقوقيين أيضا ومع ذلك كتبا ما أنار الطريق لحقبة هامة من تاريخ حركة الكفاح الوطنى فى مصر فى بدايات القرن العشرين والمتمثلة فى تاريخ الحزب الوطنى بصفة خاصة والأدلة على ذلك واضحة نذكر منها .

١ — أن الرافعى عندما بدأ مشروعه المهم فى كتابه موسوعة تاريخ مصر [١٣] لم يكن يهدف فى المقام الأول سوى الترجمة للزعيم الوطنى مصطفى

---

(١٣) مؤلفات الرافعى فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر عديدة نذكر منها .

(أ) تاريخ الحركة القومية (جزءان) ويتضمن بدايات ظهور الحركة القومية فى مصر والمقاومة الشعبية التى واجهت الحملة الفرنسية وتاريخ مصر القومى الى ولاية محمد على .

(ب) عصر محمد على .

(ت) عصر اسماعيل (جزءان) ويشتمل على عهد عباس وسعيد واسماعيل .

(ث) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى .

(ج) مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٨٩٢ الى ١٩٠٨ .

(ح) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ويشتمل على تاريخ مصر القومى من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩١٩ .

(خ) ثورة سنة ١٩١٩ ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩١٩ الى ١٩٢١ .

(د) فى أعقاب الثورة المصرية (ثلاثة اجزاء) ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩٢١ الى عام ١٩٥١ .

(ز) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كامل وللحزب الوطنى ومن هنا راى أن يبدأ بالحركة الوطنية فى مصر منذ بدايتها حتى اذا انتهى الى عصر مصطفى كامل كان من اليسير عليه أن يضعه فى مكانه اللائق به بين زعماء الحركة الوطنية ، ومن هنا بدأ كتابته بعرض لتطور الحركة القومية منذ بداية الحملة الفرنسية ١٧٩٨ والمقاومة الشعبية الباسلة للاحتلال الفرنسى وانتهى الى الكتابة عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وطريقة الرافعى فى الكتابة التاريخية هى تتبع الحوادث تتبعا زمنيا ، والحكم عليها بطريقة الميزان ذى الكفتين اى طريقة وضع الحسنات فى احدى كفتى الميزان والسيئات فى الكفة الأخرى .

ومما يؤخذ على هذه الطريقة ان العدالة فى الأحكام التاريخية لا تتحقق بالسهولة التى يراها الرافعى ولذلك نقد اتسمت أحكامه احيانا بالبعد عن الموضوعية والانصاف .

يضاف الى ذلك أن بعض كتاباته تأثرت بلون من الوان الحزبية ، فكل ما فعله الحزب الوطنى من وجهة نظره صحيح ، وما سواه من الأحزاب فانه يعامل بحسب مواقفه من الحزب الوطنى وزعاماته وآرائه فمثلا لم يكن الرافعى يرى الراى القائل بالمفاوضة لتسوية العلاقات المصرية البريطانية ، وينكر ذلك على الوفد ويعاتبه أحيانا ، ويعنفه أحيانا أخرى وذلك لأن أحد مبادىء الحزب الوطنى كانت لا مفاوضة الا بعد الجلاء . والى جانب ذلك كان الرافعى ينظر الى حزب الأحرار الدستوريين على أن رجاله وصوليون ، ونفعيون ورجعيون .

ومع كل ذلك ، فمن المنطقى أن نعترف بالدور البارز الذى أنار به الرافعى طريق المعرفة التاريخية لجيل من الشباب المصريين وبالمجهود الضخم الذى قدمه من أجل تاريخ أمته فقد بقيت مؤلفاته حوالى نصف قرن مرجعا هاما لكل من يرغب فى معرفة تاريخ الوطنية المصرية كما يحمد للرافعى أنه كان أول من أهتم بذكر أسماء الشهداء والضحايا من ابناء الشعب

المصرى [١٤] والى جانب ذلك ظهـرت طبقة وجدت من فراغها وامكاناتها المـادية ما يسمح لها بالكتابة فى التاريخ ومن هؤلاء عمر طوسون [١٥] ، واحمد شفيق [١٦] واحمد زكى [١٧] فكتب عمر طوسون عدة مؤلفـات فى تاريخ مصر بصفة عامة وانجازات أسرة محمد على بصفة خاصة ومن اهم هذه المؤلفات .

١ — الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على باشا .

٢ — مالية مصر من عهد الفراعنة حتى الآن (١٩٣١ م) .

٣ — البعثات العلمية فى عهد محمد على باشا وفى عهدى عبـاس وسعيد .

٤ — المسألة السودانية .

٥ — تاريخ مديرية خط الاستواء من فتحها الى ضياعها ١٨٦٩ — ١٨٨٩ م (٣ أجزاء) .

٦ — ١١ يوليو ١٨٨٢ (وهو يـوم ضرب الاسطول الانجليـزى للاسكندرية) .

٧ — صفحة من تاريخ مصر والجيش البرى والبحرى .

---

(١٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ القاهـرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ص ١٥ .

(١٥) ابن محمد سعيد بن محمد على . ولد بالاسكندرية وتعلم فى سويسرا ، وآزر الحركة الوطنية بقلمه وماله .

(١٦) ولد بالقاهرة فى عام ١٨٦٠ ، وتخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس ، عين وكيلا للجامعة الاهلية كما تولى رئاسة الديوان الخديوى فى عهد عباس الثانى .

(١٧) ولد بالاسكندرية فى عام ١٢٨٤ هـ وتلقى علومه العالية بمدرسة الادارة والحقوق ، وفى عام ١٨٨٢ عين مترجما فى وزارة الداخلية ، وتلقى أعمال التحرير والترجمة فى الوقائع المصرية ، ثم عين فى مجلس الوزراء بدرجة سكرتير أول ، وانعم عليه بالباشوية ، وقد ظل طوال حياته منكبا على متابعة بحوثه التاريخية .

٨ — أعمال الجيش المصرى فى المكسيك .

٩ — كلمات فى سبيل مصر .

١٠ — تاريخ الاسكندرية القديم وترعة المحمودية .

١١ — وادى النطرون ورهبانه واديرته .

١٢ — مختصر تاريخ البطارقة .

١٣ — ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الانجليزية .

١٤ — الأطلس التاريخى الجغرافى لمصر السفلى منذ الفتح الاسلامى الى الآن .

١٥ — فتح دارفور .

١٦ — الاسكندرية فى سنة ١٨٦٨ (١٨) .

وقد صنف عمر طوسون مؤلفاته بالفرنسية ، والعربية ويبدو أنه استعان على تأليفها ببعض الكتاب فى ذلك الوقت (١٩) .

وكتب أحمد شفيق باشا أيضا عدة مؤلفات فى تاريخ مصر الحديث من أبرزها :

١ — مذكراتى فى نصف قرن .

٢ — حوليات مصر السياسية .

٣ — أعمالى بعد مذكراتى .

وبالنسبة لمذكرات شفيق فقد تناولت الفترة الواقعة بين ١٨٧٣ — ١٩٢٣ وهى فى ثلاثة اجزاء تناول الأول منها نهاية عصر اسماعيل الى انتهاء حكم توفيق ، وتناول الثانى فترة حكم الخديوى عباس الثانى حتى عزله أما الجزء الثالث فقد امتد الى عام ١٩٢٣ .

---

(١٨) للتفاصيل أنظر قلينى فهمى باشا : عمر طوسون — حياته ، آثاره ، أعماله .

(١٩) خير الدين الزركلى : الاعلام جـ ٥ ص ٤٨ .

ولقد تميزت هذه المذكرات بالصراحة والوضوح أحيانا وبمســانده موقف الخديوى والاسرة الحاكمة احيانا اخــرى فلم يستطع احمد شفيق على سبيل المثال التخلص من ولائه لاسرة محمد على عندما تحدث عن الثورة العرابية واتهم قائدها بالغرور وبأنه كان السبب فى ضياع مصر ، وعلى كل حال فوجهة النظــر هذه كان يتبناها البعض فى ذلك الوقت .

يضاف الى ذلك انه كان يــرى فى الخديو توفيق الحاكم الذى يدافع عن حقوقه الشرعية ، وفى الخديو عباس الثانى الحاكم الوطنى الــذى تحالف مع الشعب المصرى ضد الانجليز .

والمذكرات كتبت فى معظمها على طريقة الحوليات ، وتميزت بالعديد من الوان النشـــاط الاجتماعى والأدبى والســياسى وابرزت الجانب الوطنى بين افراد الشعب .

وعلى كل حال فقد دون شفيق مذكراته عن المشاهدات والحوادث التى وقعت تحت سمعه وبصره ، ومدى مشاركته فى هذه الأمور بحـــكم عمله فى القصر الخديوى كما كشف للمؤرخين عن الكثير من الغوامض غير المعروفة ومن هنا كانت مذكراته ذات فائدة هامة لتاريخنا الحديث وعن حوليات مصر السياسية فتتكون من عشرة اجزاء جمع فيها المؤلف العديد من الوثائق والتقارير والخطب السياسية مع نبذة قصيرة لتاريخ مصــر منذ عصر محمد على حتى قيــام الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذ فى سرد الحوادث بعد ذلك من الحــرب الأولى الى عام ١٩٢٣ .

وقد قسم شفيق كل حولية من حولياته الى اثنى عشر بابا كعــدد الشهور ، تضمن كل باب حوادث شهر من الشهور .

ومع أن حوليات شفيق تفتقــر الى المنهج العلمى بشكل لا تصــلح به أن تكون تاريخا للفتــرة التى تعرضت لها ، فانها تعــد كمادة خـــام موثوق فيها ، كما انه يمكن أن يطلق عليها جريدة الجرائد المعاصرة فهى

ليست دراسة ولكنها تسجيل للحوادث الجارية تستهدف تيسير الرجوع اليهـــا [٢٠] .

أما عن كتابه « اعمالى بعد مذكراتى » فقد جـــاء متمما لمذكراتـــه فتضمن العديد من الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد بدأه بالحديث عن المفاوضات المصرية البريطانية فتناول مفاوضات سعد زغلول ، ملنر وتبعه بالحديث عن مفاوضات عدلى — كيرزن وتصريح ٢٨ فبـــراير ١٩٢٢ وانتقل الى محادثات سعد ماكدونالد ١٩٢٤ وفشلها ، ومشروع محمد محمود هندرسون ومعارضه الوفد له كما انتقل الى معاهدة ١٩٣٦ واعلن عن ابتهاجه لتحقيقها .

ويمضى شفيق فى الحديث عن الجوانب الاجتماعية فى القصر الملكـــى فتحدث عن الافـــراح التى اقيمت بمناسبة زواج فاروق ، والمصاهـــرة التى تمت بين الاسرتين الملكيتين فى مصر وايران ، وانتقل بعد ذلك الحديث عن شئون التعليم فى مصر والبلدان العربية فيعـــرض رأيه بوضوح وصراحة، واخيرا تطرق الى النظام الحزبى فى مصر موضحا عيوبه والطـــرق الكفيلة بعلاجـــه .

والكتاب فى مجمله زود التاريخ المصرى الحديث باضـــافات مفيدة ، خصوصا وان صاحبه تجـــرد فى الكثير من الاحيان من الانفعال الشخصى وان كانت الذاتية قد طغت فى بعض الاحيان على صاحبه .

وكتابات شفيق بصفة عامة هامة خاصة وان صاحبها يعتبر شـاهـــد عيان للكثير من حوادثها ، ومع ذلك فان حكمه على بعض الاحداث قـــد ارتبط بموقعه كمسئول داخل القصر مما ابعده عن الموضـــوعية فى بعض الأحيان ، فما كتبه عن العرابيين يعوزه الكثير من اعادة النظـــر ، وما كتبه عن موقف عباس الثانى من الحـــركة الوطنية يعوزه الكثير من الوضوح ، وحديثه عن الحياة النيابية المصرية جاء مبتورا .

---

(٢٠) عبد العزيز رفاعى : احمد شفيق المؤرخ ، حياته وآثـــاره ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ ، ص١٤٨ .

اما عن احمد زكى باشا فله عـــدة مؤلفات ، كما ان له بعض الترجمات وعن مؤلفاته نذكر :

١ — السفر الى المؤتمر .

٢ — اسرار الترجمة .

٣ — الدنيا فى باريس .

٤ — مصر والجغرافيا .

٥ — موسوعات العلوم العربية .

٦ — عجائب الأسفار فى أعماق البحار .

أما عن الكتب التى قام بترجمتها فهى عديدة نذكر منها :

١ — التعليم فى مصر لمؤلفه فيركامير .

٢ — تاريخ الشعوب الشرقية لماسبيرو .

٣ — آثار بلاد المشرق لماسبيرو .

٤ — الرق فى الاسلام لأحمد شفيق باشا .

٥ — ذيل الأغانى .

والى جانب ذلك فله مقالات متعددة بالعربية والفرنسية نشرت فى الصحف والمجلات .

وقد مثل أحمد زكى مصر فى بعض المؤتمرات ، وقـــام باحياء الكتب العربية ، فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات قام بمراجعتها بنفسه ، وأحكم صلته برجالات العرب فى شتى الأقطار ، وتسمى بشيخ العروبة ، وسمى داره بيت العروبة .

---

(٢٠) انظـــر الزركلى جـ ٥ ص ١٢٧ ، وعمر رضا كحالة : معجـــم المؤلفين بيروت ، دار المثنى ١٩٥٧ ص ٢٢٥ ، وسركيس : معجم المطبوعات صفحة ٩٧١ .

وعلى الرغم من كل هذه الجهود الطيبة التى بذلها هؤلاء ينبغى القول انه بالرغم من أنه يحلو للكثيرين من غير المؤرخين الكتابة فى التاريخ ، فان الدراسات التاريخية الحقة ليس من السهل كتابتها ، وقد كان تولستوى على حق حين ذكر فى رائعته « الحـــرب والسلام » ان التاريخ هو دراسة حياة الشعوب والبشر ، وان الامساك بهذه الحياة ووضعها فى كلمـــات أمر صعب بل قد يكون مستحيلا .

وقد ظلت الكتابات التاريخية على هذا النحو الى أن وصل الأمـــير أحمد فؤاد الى سدة الحكم فى مصر ، فشجع على بزوغ حركة النهضـــة التاريخية فى مصر ، بهدف الاشارة بجديه ابراهيم ومحمـــد على ووالـــده اسماعيل ، واحياء مركز اسرته بعد تدهورها فى نظـــر المصريين منذ ايام الخديو توفيق فبعد أن تولى الحكم وجه جل اهتمامه الى تشجيع الدراسات التاريخية فى مصر فأمر بتشكيل لجنة فى عام ١٩٢٥ م برياسة الدكتور حسن باشا نشأت لجمع ما فى القصر الملكى ودار المحفوظات العمومية بالقلعـــة والدور الحكومية من وثائق تتعلق بتاريخ أسرته وتصنيفها [٢١] واستقدم المستشرق الفرنسى « دينى » فى عام ١٩٢٦ لفحص الوثائق التركية وخاصة التى تتعلق بحروب الشام ، والفرمانات السلطانية الخاصة بأسرة محمـــد على [٢٢] وترجمتها الى العربية ، واستغل علاقته الشخصية مع رؤساء الحكومات فى أوربا ، واستنسخ تقارير قناصلهم فى مصر فى القرن التاسع عشر [٢٣] كما أمـــر بنقل الوثائق الخاصة بالفترة فيما بين بداية حكم محمد على وبداية الحـــرب العالمية الأولى من دار المحفوظات العمومية بالقلعـــة الى قصر عابدين فى مبنى اطلق عليه دار الوثائق السرية والمحفوظـــات التاريخية الملكية » بهدف اتاحة الفرصة لعدد من المؤرخين ليكتبوا تاريخ

---

(٢١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية جـ ٢ ، القاهرة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٤٩ ص ٢٤٨ .

(٢٢) محمود عباس حمودة : المرجع السابق ص ٤٠ — ٤١ .

(٢٣) أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام — المجلد الأول ١٩٤٠ .

اسرته وفقا لتوجيهاته ورغباته [٢٤] . ولما كان الملك فؤاد لا يثق فى قدرة المؤرخين المصريين على القيام بهذا العمل فقد استعان ببعض الأجـانب من المؤرخين وغيرهم ، ووعدهم بالمكافآت السـخية [٢٥] اذا كتبوا تاريخ أسرته بالطريقة التى يرتضيها . وقد استجاب لطلبه كل من دوان Douin الفرنسى وانجلو ساماركو A,Sammarco الايطالى ، ودودول DodWell الانجليزى ، وكرابيتس Crabites الأمريكى وهانوتو Hanotau وشارلرو Charles Roux وغيرهم فكتب Douin كتابه المعنون Histoire Du Régne Du Khédive Ismail فى اربعـة أجزاء نشرته الجمعية الجغرافية الملكية بمصر فى الفتـرة من ١٩٢٣ — ١٩٣٩ وافرد فيه خمسة فصول كاملة تحت عنوان الاصـلاح القضائى La Réforme Judiciaire تحدث فيهـا عن جهود الخديو اسـماعيل فى اصـلاح القضـاء المصرى والصراع الذى خاضه نوبار فى العواصم الغربية وفى الآستانة حتى تحقق له الموافقة على انشاء المحاكم المختلطة [٢٦] .

أما انجلو ساماركو فهو ايطالى اغدق عليه الملك فؤاد وابنه فاروق الكثير من مظاهـر الرعاية فبعـد أن قدمه أحـد الموظفين الايطاليين بقصر عابدين الى الملك فؤاد على أنه مؤرخ كبير يمكن الاستفادة منه فيما يـ ريد كتابتـه أمـر الملك فـؤاد بضـمه الى مجموعة كبـار الأساتذة الأجانب الذين عكفوا على كتابه « موسوعة تاريخ مصر عبر العصور » وعـرفت باسـم Précis de L'Histoire d'Egypte

---

(٢٤) حموده : المرجع السابق ص ٤١ .

(٢٥) يذكر الدكتور محمد انيس أن المؤرخ الانجليزى دودول ذكر لـه فى أثناء دراسته فى لندن انه لم يتقاض سوى خمسمائة جنيه من الملك فؤاد على كتابه مؤسس مصر الحديثة ، وانه يرى أن هذا المبلغ اقل من الجهد الذى بذل فيه .

انظـر : المجلة ، نوفمبر ١٩٦١ مقال للدكتور محمد أنيس تحت عنوان شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصرى الحديث .

(٢٦) انظـر الجزء الثانى من الكتاب المذكور . الفصول من السادس الى التاسع صفحات ١٨٥ — ٢٨٢ .

وقد كتب ساماركو الجزء الرابع من هذه المجموعة وتناول فيه تاريخ عباس وسعيد واسماعيل فى الفتـرة من ١٨٤٨ الى ١٨٧٩ م وطبعـه فى عام ١٩٣٥ كما اعتزم وضع مجموعة ينفـرد بتأليفها باسم « تـاريخ مصر الحديثة » .

Histoire de L'Egypte Modern

تتناول تاريخ مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية عن مصر فى عام ١٨٠١ حتى بداية الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ولم يظهـر من هذه المجموعة سوى الجزء الثالث الذى يسجل فى معظمه سنوات حكم الخديو اسماعيل من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٨٧٥ .

وهذا الجزء ليس الا نسخة مكررة مما ورد فى الجزء الرابع الـذى كتبه فى المجموعة السابقة الذكر مع اختلاف يسير فى الصياغة اللفظية .

ويحلل الدكتور الشناوى الكتابة التاريخية لهذا المؤلف فيذكر أنهـا سارت فى اتجاهين هما :

١ — الاشادة بأسرة محمد على .

٢ — أبراز دور ايطاليا فى تحديث مصر .

والجدير بالذكر أنه بعد انضمام ايطاليا الى دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية أصدرت الحكومة المصرية قرارا بابعاد هذا المؤرخ عن مصر فى عام ١٩٤٠ (٢٧) .

وأما كرابيتس فكان يعمل قاضيا بالمحاكم المختلطة بمصر وقد كلفه الملك فؤاد بالدفاع عن والده اسماعيل وتفنيد المزاعم التى ذهب اليهـا ملنر وكولفن وكرومر من أنه كان مبذرا ولصا ، وأذن له بالاطلاع على الوثائق المحفوظة فى الخزائن الملكية وغيرها .

---

(٢٧) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها الجزء الرابع ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٠٥٦ — ٢٠٥٨ .

وقد قام كرابيتس بهذه المهمة خير قيام وأخرج كتابه التى ترجم تحت عنوان « اسماعيل المفترى عليه » .

وعلى الرغم من استجابة المؤرخين الأوربيين والأمريكيين لرغبة الملك فؤاد فى تمجيد تاريخ أسرته ، وتبرير اخطائها وتصرفات حكامها ، وافتقادهم الى الموضوعية أحيانا والى الروح الأكاديمية أحيانا أخـرى لا يستطيع أحد أن ينكر أنه بفضل ما كتبه هؤلاء ظهـرت مجموعة نفيسة ومجلدات متعددة — ملأت العديد من رفوف المكتبات — كشفت عن العديد من الصفحات المجهولة فى تاريخ مصر واستطاعت التأثير على المفاهيم التاريخية فى دراسة تاريخ مصر الحديثة بطريقة يصعب التخلص منها (*) ، كما أنها سـدت فراغا هاما فى دراسة حقبة من تاريخ مصر . ومن الملفت للنظر أنه لا أحد يدرى من الذى دفع الملك فؤاد الى القيام بهذه التجربة مع ان ثقافته لم تكن تتيح له التفكير فى هذا العمل وعلى كل حال فقد ظلت الحركة التاريخية المصرية تسير فى ركاب الأجانب حتى عين محمد شفيق غربال فى عـام ١٩٢٥ أستاذ مساعدا بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهـرة حاليا) وبدأ يتدرج فى المناصب حتى شغل كرسى التاريخ الحديث فى الجامعة المصرية فى وقت كادت تكون فيه معظم الكراسى الجامعية وقفا على الأساتذة الأجانب ومن هنا بدأت عملية تمصير التاريخ المصرى ، ونقل الاشـراف على الدراسات التاريخية من يد القصر والأجانب الى الجامعة ونتيجة لذلك بـدأت تتكـون المدرسـة التاريخيـة المصريـة التـى مـا زالـت اشعاعاتها باقية حتى الان ، والتى صار للمؤرخين المصريين فيها لأول مرة وجهـة نظـر مصرية صحيحة فى كتاباتهم ، وقد بدأ الغرس الذى انبتـه غربال بعلمه وخلقه يترعرع وكان من نتاج ذلك ظهور العديد من المـؤرخين المصريين الاكاديميين الذين ملئوا اقسام التاريخ فى الجامعات المصرية والعربية واستطاعوا أن يرتقوا بمستوى الدراسات التاريخية .

وقد بدأ غربال يتصدى لتحليل أحداث وطنه تحليلا موضوعيا انتقاديا

(*) الواقع أن مصر عرفت بعض الاجانب الذين اظهروا تعاطفـا واضحا تجاه الحركة الوطنية امثال جون نينيه وبلنت وبرودلى وتيـودور روز شيتن .

لا يقل اصالة وقدرة عن افضل المستويات التاريخية فى أوربا من ناحية عمق البحث والتحليل ، وقد ساعده على ذلك تمكنه من اصول فن التاريخ ، وادراكه الواعى لحقائق تاريخ وطنه ، وحبه العجيب للاطلاع فى شتى فروع المعرفة الانسانية ، وايمانه الصادق بحرية الفكر .

ومع أن غربال قد تأثر بفلسفة استاذه المؤرخ الانجليزى « أرنولد توينبى » فى ربط تفسير التطور التاريخى بدور الصفوة المتميزة فى مجالات النشاط البشرى وبنظرية التحدى والاستجابة فى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب فانه فى بعض كتاباته لم يتمسك بهذا التفسير وخاصة أنه كان يؤمن ايمانا صادقا بحرية الفكر وباختلاف منابع الثقافة ، وهذا ما غرسه غربال فى تلاميذه فقد رفض سياسة صب القوالب والتقليد ، وتمسك بتوجيه ملكات تلاميذه وقدراتهم كل على حسب امكاناته لذلك يمكن القول أن ما احدثه غربال يعد منعطفا تاريخيا فى الاتجاهات الحديثة فى دراسة التاريخ المصرى الحديث .

ومع أن مدرسة غربال قد نجحت فى تمصير التاريخ المصرى فانها ظلت بعيدة عن مفاهيم الفكر الاشتراكى فى التاريخ ، وعن دراسة تاريخ الحركات الوطنية والجماهيرية .

وعلى كل حال فبعد أن وضع غربال القواعد وارسى البناء ظهرت فى مصر مدارس تاريخية متنوعة فى اتجاهاتها وافكارها ففى جامعة القاهرة ظهر الدكتور محمد فؤاد شكرى بمؤلفاته المتعددة التى ركزت على مصر فى القرن التاسع عشر ، وبأفكاره حول تفسير التاريخ حيث يرى أن تفسير التاريخ عملية مستمرة وذلك فى ضوء ما هو متجدد دائما من تيارات فكرية ناشئة من تراكم الحقائق المستكشفة من بطون الوثائق والاسانيد والتى هى كذلك منبعثه من تطور المجتمع فى شتى مناحيه (*) .

وقد جمع الدكتور شكرى الى جانب غزارة المادة عمق الفكرة

(*) انظر كتابه : الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩ — ١٨٤٨ المجلد الأول .

واصالة الرأى وبراعة التحليل فكان لا يقتنع بالسطحية فى معالجة الأمور وانما يغوص فى أعماق المـــادة العلمية ليخرج منها الثمين من الأفكار والى جانب ذلك كان استاذا معلما بكل معنى الكلمة يوجه طلابه بالرأى السديد، والعلم الواسع ، والخبرة الأصيلة يعرض فكره ورأيه فى ثقة العالم المتمكن من نفسه ، ويدير المناقشات والجلسات العلمية التى كان يحضرها لفيف من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد ظهـــر كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الآفاق بين الباحثين (*) .

ومن ابرز تلاميذ مدرسة الدكتور شكرى محمود صالح منسى ، والسيد رجب حراز .

وفى جامعة القاهـــرة أيضا ظهرت مدرســـة التـــاريخ الاجتمـــاعى والاقتصادى فى مصر حيث تبنى الدكتور محمد انيس هذه المدرسة ، وحاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابراز دور المقاومة الشعبية ورد اعتبـــار الشعب المصرى ، ومسيرته فى صنع الأحداث كما حاول التصدى لـــدور المدرسة الاستعمارية ، ووجه تلاميذه لدراسة الحركات الوطنية ، وثورات التحرر فى العالم العربى ، والقوى الاجتماعية كحركات الفلاحين والعمال والمثقفين .

ومن ابرز القضايا التى تعرضت لها هذه المدرسة وتجشمت المتاعب من أجل تحقيقها قضية المحافظة على الوثائق المصرية وقد تمكنت من تحقيق ما يلى :

أولا : استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية الى الخـــارج

ثانيا : تأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بهدف تجميع وثائق التاريخ المصرى المعاصر من مختلف الجهات والشخصيات واتاحة الفرصة للباحثين من داخل المركز وخارجه للافادة بها فى اعداد دراساتهم وقد تمكن

(*) محمود صالح منسى : قناة السويس بين اتباع سان ســـيمون وفردينان دى دلسبس تحت عنوان « وفاء وتقدير » .

هذا المركز خلال اشراف الدكتور محمد انيس عليه فى الفترة من ١٩٦٧ — ١٩٧٥ من جمع الوثائق المشتتة المتعلقة بعصر الملك فؤاد وترتيبها وفهرستها ولعل اهمها تقارير الأمن والمراسلات بين البلاط الملكى وغيره من الجهات هذا بالاضافة الى تسجيل ما لدى السياسيين القدامى من معلومات تاريخية .

هذا عن أهم المدارس التاريخية التى ظهرت فى جامعة القاهرة ، أما عن جامعة عين شمس فقد تبنى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بصفة خاصة مدرسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر فوجه تلاميذه فى الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب بهدف تكوين كوادر منهم لشغل هذا التخصص ومن أبرز هؤلاء الدكتور عبد العزيز نوار والدكتور يونان لبيب والدكتور جمال زكريا .

ولعل أهم انجازات الدكتور عزت عبد الكريم كان انشاء سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس فى عام ١٩٥٥ للاشراف المتواصل على ابحاث طلابه ، هذا الى جانب رئاسته للجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٦ والتى بذل فيها من جهده ووقته ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها منذ انشائها .

والجدير بالذكر أنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعرض تاريخ مصر الحديث للكثير من التشويه والتناقض ، فشوه تاريخ زعماء ما قبل الثورة وانحرف التاريخ المصرى عن مساره لفترة ، وبدأت مواكب النفاق تزحف للتسلق والتمسح بالثورة ومناهضة الحكم الملكى وكتب البعض المؤلفات لاسترضاء قادة الثورة ووضعوا أنفسهم تحت تصرف الثورة لا يكتبون ولا يدرسون الا اذا كان فيما يكتبون أو يدرسون مؤازرة للسلطة السياسية . وبلغ الأمر بالبعض أن قال ان تاريخ مصر الحديث يبدأ بثورة ٢٣ يوليو ، وما قبل ذلك يجب نسيانه ، واخذت الكتابات الملتهبة ضد أسرة محمد على تغرق الأسواق ولم يحد من طغيان هذه الظاهرة سوى أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية الذين حاولوا موازنة الأمور ، ووضع حقبة الثورة فى مسارها العام ، وتصحيح مفاهيمها . ومضت الحركة التاريخية فى تصحيح المسار بمقدار ما سمحت به الأمور ، ثم أخذت تجرى

مسرعة فى الاتجاه الصحيح احيانا ، وفى الاتجاه غير الصحيح احيانا أخرى، وكان لابد من وقفة لتقييم الأمور ، وقد حاول الدكتور عاصم دســوقى فى دراسته الجريئة « مصر المعاصرة فى كتابات المؤرخين المصريين — دراسة بين الكم والكيف » (٣٩) القيام بهذا العمل ، وكانت النتيجة حدوث ضــجة وردود فعل متشنجة ضده بين العديد من المؤرخين المصريين نتيجة لتقييمه الصريح للمدرسة التاريخية المصرية ولأبحاث بعض المؤرخين المصريين عن تاريخ مصر المعاصرة بشكل لم يرض الكثيرين منهم .

ونتيجة لذلك وجهت اليه الانتقادات اللاذعة لدرجة يصعب معها قيام آخرين بتكرار هذه المحاولة خشية ان يواجهوا ما واجهه الدكتور عاصــم دسوقى ، مع العلم بأن النقد العلمى الهادف — سواء أصاب فيه صاحبــه أو أخطأ — يجب أن يتقبله هؤلاء بصدر رحب أو بردود هادئة تصــلح المسار ، وتوجه الأمور الى الطريق الصحيح وخاصة أن المدرسة التاريخية المصرية ما تزال فى حاجة الى وقفة صريحة مع نفسها لتقييم تجربتها ، والى مؤرخ جرىء يستطيع أن يضع النقاط على الحروف دون خشية من اغضاب هذا المؤرخ أو ذاك .

---

(٣٨) صدر عن دار الحرية بالقاهرة .

الفصل التاسع

أهم دور الكتب والوثائق في العالم وكيفية الافادة منهـا

يشهد التاريخ لأمتنا بأنها حرصت منذ اقامة دولتها الاسلامية الكبرى على أن تكون المكتبات العامة حارسة للمخطوطات ، ومدارس مفتوحـــة الأبواب لطلاب العلم ، ورصدت لها من الجهود والأموال ما جعلها مقصـــد العلماء ، والطلاب فى زمن لم يعـــرف سوى الكتاب وسيلة لنشر الثقافة ومن أشهر هذه المكتبات بيت الحكمة ببغداد ، ومكتبة العزيز بالله الفاطمى بالقاهـــرة ، ومكتبة الزهراء بقرطبة ، وخزانة سيف الدولة فى حلب ، والظاهـــرية فى دمشق ، ومكتبة الأزهر بمصر والجامع الأعظم فى القيروان ، وجامع الزيتونة فى تونس وجامع القرويين فى فاس وغيرها [1] .

وتاريخ المكتبات مرآة صافية ينعكس فيها تاريخ الحضارة الانسانية بوجه عام ، وتاريخ التقدم الفكرى بشكل خاص .

فالمكتبات ومحتوياتها تراث انسانى مشترك ساهم فيها أغلب الشعوب بدرجات متفاوتة وهى ذاكرة الجنس البشرى التى تحفظ تراث الانسانية وتقوم بتنظيمه ، واعداده للاستعمال والافادة منه [2] .

وتاريخ المكتبات هو جزء من تاريخ الحضارة الانسانية ، ودراســة

---

(١) للتفاصيل انظـــر عائشة عبد الرحمن : المرجع السابق صفحة ١٧ — ٢٩ .

(٢) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى العالم — تاريخها وتطورها حتى مطلع القرن العشرين ، الرياض ، دار العلوم ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٧.

الفكر الانسانى ، خصوصا وانه يشتمل على أوعية المعرفة الانســـانية الوارثة لثمرات العقول على مدى العصور والأدهار [٣] .

والنظام التعليمى الحديث يرتكز على المكتبات لكونها المصدر الرئيسى للمعلومات ، فهناك عناصر ثلاثة على الأقل تدخل فى العملية التعليميـــة الحديثة ، وهى الأستاذ والطالب والمكتبة خصوصا وانها تركز على تنمية القدرات الطلابية وعلى الميول والرغبات .

يضاف الى ذلك ان المكتبة هى المكان المثالى الذى يهيىء البيئة التعليمية المطلوبة لتحقيق أهداف التعليم لمختلف القدرات والرغبات والاحتياجات ، كما أن توجيه واشراف الأساتذة على مشروعات الطلاب البحثية ومتابعتها خطوة خطوة منشأنه أن يكسب الطلاب مهاراتالتعلم الذاتى وبناء شخصيتهم العلمية والاجتماعية [٣] بمعنى أن التعليم فى مفهومه المتطور يـــركز على تكوين المهارات الأســـاسية والاتجاهات العلمية التى تجعل الطالب قادرا على تعليم نفسه بنفسه ، وليس مجرد حشو ذهنه بالمعلومات ومن هنـــا تبرز اهمية المكتبات التى يلتقى فيها الماضى بالحاضر ، ويطل الحاضر على المستقبل . وفيما يلى سنعرض لنماذج من دور الكتب والمكتبات فى العـــالم

أولا : فى مصر

١ — دار الكتب المصرية :

انشئت دار الكتب المصرية فى عام ١٨٧٠ م ولتأسيســـها مقدمـــات ترجع الى عهد محمد على ، فقد أنشأ مستودعا لبيع مطبوعات الحكومة فى بيت المال القديم خلف المسجد الحسينى . ولما ولى اسماعيل الحكم اضاف

---

(٣) المجلة العربية للعلوم الانسانية بالكويت : العدد السادس ، المجلد الثانى ربيع ١٩٨٢ مقال تحت عنوان المكتبة الشاملة كمحور لعملية البحث والتعليم فى الجامعات العصرية ص ٦٥ — ٧٩ .

اليها نحو ألفى مجلد من المحفوظات العربية والفارسية ، ثم تطورت الفكرة الى انشاء دار عامة للكتب [٤] .

ويذكر صاحب الخطط التوفيقية أن الخديوى اسماعيل هو صاحب فكرة تأسيس دار الكتب المصرية ، وانه أراد أن تكون هذه الدار مكانا لجمع الكتب المتفرقة فى المساجد والمخازن الحكومية ، ومكاتب الأوقاف وغيرها [٥] وانه أمر « على باشا مبارك » بالعمل على تحقيق ذلك ، فشرع فى بناء الكتبخانة الخديوية فى سراى درب الجماميز ، وجعل لها ناظرا ، ورتب لها خدمة ومعاونين ، وعمل لها قانونا لضبطها وعدم ضياع كتبها [٦] .

وقد ابتاع الخديو اسماعيل مجموعة الكتب القيمة التى تركها أخوه الأمير « مصطفى فاضل » بعد وفاته ، وأهداها الى دار الكتب ، كما ابتاع نحو الفى مجلد من المحفوظات العربية والفارسية من تركه « حسن باشا المناسترلى » وأهداها الى دار الكتب أيضا ، يضاف الى ذلك أنه تم الانفاق على هذه الدار من ميزانية المدارس وفتح أبوابها لطلاب العلوم والمعارف ، وسهلت لهم الاطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكنهم الوصول اليها لولا انشاء هذه الدار ، فأدت ولا تزال تؤدى خدمات جليلة للنهضة العلمية والأدبية [٧] .

وتتميز مقتنيات دار الكتب المصرية أنها تضم مجموعة فريدة من أوراق البردى العربية تقدر بحوالى اربعة آلاف بردية وقد تم نشر بعضها بواسطة الاستاذ الدكتور A. Grohmann ونشر البعض الآخر عن طريق بعض علماء البرديات من المصريين [٨] .

---

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ ١ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ص ٢٤٦ .
(٥) على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ٥١ .
(٦) على مبارك : الخطط جـ ٣ ص ١٤ .
(٧) الرافعى : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٤٧ .
(٨) للتفاصيل انظر د. عبد العزيز الدالى : البرديات العربية ، القاهرة مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣ ص ٦٦ — ٧٠ .

٢ — دار المحفوظات العمومية بالقلعة :

تأسست فى عهـــد محمد عـــلى فى عـــام ١٢٤٤هـ ، واطلق عليهـــا الدفترخانة ، وذلك كجزء من اهتمام محمد على بتحديث ادارات الدولة ، وحفظ أوراقها وسجلاتها وفقا للوائح والتعليمات التى تصدرها الحكومة .

وظلت هذه الدار منذ ذلك الوقت تمثل الدار المركزية لحفظ الوثائق فى مصر ، حتى جاء عصر اسماعيل وانشئت النظارات المختلفـــة التى تم الاحتفاظ فيها بأرشيفات خاصة بها ومن ثم نشأ نظـــام تعدد أماكن حفظ الوثـــائق(٩) .

وفى عصر الملك فؤاد ازدادالاهتمام بأمر الوثائق ، كما تشكلت لجنة فى عام ١٩٢٥ برئاسة « حسن باشا نشأت » لحصر الوثـــائق وتصنيفها وترجمتها ، وفى أعقاب ذلك نقلت بعض الوثائق الموجودة بالقلعة الى قصر عابدين فى دار أطلق عليها « دار الوثائق السرية والمحفوظات التاريخيـــة الملكية » ، وقد اقتصرت هذه الدار على الوثـــائق التاريخية من بدايـــة عصر (محمد على) وحتى بداية الحرب العالمية الأولى .

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بعدة سنوات حـــاولت الدولة جمـــع الأوراق التاريخية فى مكان واحد لتيسير دراستها والعمل على الافادة منها فتأسست دار الوثائق القومية(١٠) .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت دار المحفوظات تضم مجموعة كبيرة من الوثائق ، وبخاصـــة التى يتعـــرض منهـــا لتاريخ مصر الاقتصـــادى والاجتماعى ، هذا الى جانب ملفات خدمـــة وربط معـــاش العديدين من رجالات مصر الذين شاركوا فى احداثها التاريخية أمثال عبد الله النديم ، وأحمد عرابى ، وسعد زغلول ، ومصطفى فهمى ، ورياض باشا وغيرهم .

---

(٩) د. على بركات : دراسات فى منهج البحث التاريخى ، ١٩٨٠ ص ٤٥ .

(١٠) د. محمود عباس حمودة : المرجع السابق ص ٤٠ — ٤١ .

ومن أهم المجموعات الوثائقية الموجودة فى هذا الدار نذكر :

١ — دفـــاتر التزامات الجمارك .

٢ — دفـــاتر التزامات الولايات القبلية والبحريـــة .

٣ — دفـــاتر المكلفات .

٤ — دفاتر مسموح ومرتبات بدل مسموح .

٥ — دفـــاتر عمد ومشايخ القرى .

٦ — دفـــاتر جرايـــة وعليق .

٧ — دفـــاتر قيد ديوان مصر .

٨ — دفـــاتر قيد الأوامر المصادرة بديوان الجهادية .

٩ — مجموعة الفرمانات الصادرة من الباب العالى لمصر المحروسة .

١٠ — محافظ الدائرة السنيـــة .

١١ — محافظ الداخليـــة .

١٢ — سجلات عموم خفر السواحل .

١٣ — سجلات المحـــاكم الشرعية .

١٤ — أوراق لجنة التصفية .

١٥ — أوراق وسجلات المديريات .

١٦ — أوراق الســـودان .

والجدير بالذكر أنه لا توجد فهارس منظمة الوثائق الموجودة فى دار المحفوظات ، كما أن الاهتمام بهذه الوثائق يكاد يكون معدوما مما يضـــع الباحثين أمام محنة حقيقيـــة .

٣ — دار الوثائق القومية بالقاهرة :

تأسست هذه الدار طبقا لنص القانون ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ ومهمتها جمع الوثائق التى تتصل بتاريخ مصر فى جميع العصور وتيسير البحث والاطلاع والعمل على نشر الوثائق ورفع مستوى البحوث التاريخية[١١] .

هذا وقد نص القانون ٣٥٦ فى مادته العاشرة على تشكيل اللجان الدائمة المحفوظات للاشراف على صيانة المحفوظات ، وعمل سجلات لها ، ولتكون حلقة الاتصال بين تلك الجهات ، ودار الوثائق القومية .

وعن تحديد معنى الوثيقة فان كل وثيقة مهما كانت مدتها فانها يمكن أن تكون جزءا من المادة التاريخية على مرور الأيام خصوصا وأن جميع الوثائق لازمة للمؤرخ سواء فى ذلك الوثائق المالية أم الادارية أم التعليمية أم القانونية أم غيرها[١٢] .

ومن المعروف أن المؤرخ ليس عبدا للوثائق والمخطوطات بل هو ناقد حصيف يختار منها ويكتب ما يخاطب به عقول الناس فى كل عصر . ومن البدهى القول أن الشعوب المتقدمة فى سلم الحضارة تحافظ على وثائقها خصوصا وأن هذه الوثائق تعد كنوزا ثمينة ، فهى الشاهد الأكبر على التاريخ ، وهى الدليل الأعظم على الشخصية الحضارية لأى شعب من الشعوب . والدراسات التاريخية المبتكرة تعتمد اعتمادا كبيرا على الوثائق لكونها من المصادر التاريخية الأصلية والأساسية لكل باحث يرغب فى اضافة حقائق علمية لم تكن معروفة من قبل سواء للمؤرخين أم غيرهم[١٣] .

---

(١١) محمود عباس حمودة : النشاط الدولى فى خدمة الوثائق ، مخطوط صفحة ٤١ .

(١٢) دار الوثائق القومية : نشرة تفسير القانون ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ وتنظيم المحفوظات ص ٢٦ .

(١٣) الدارة : العدد الأول ، شوال ١٤٠٥ / يونيو ١٩٨٥ مقال للاستاذ عبد الله الحقيل تحت عنوان « أهمية تجميع تراثنا الوثائقى المتناثر فى مكتبات العالم » .

وعن أهم المجموعات الوثائقية الموجودة فى هذا الدار نذكر :

— أوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغـــانى .

— أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابيـــة .

— تقارير عن الثـــورة العرابيـــة .

— محافظ الثورة العرابيـــة .

— محافظ مجلس الوزراء .

— محافظ مجلس النظـــار .

— ديـــوان خديـــو .

— ديوان المعيـــة السنية (عربى) .

— محـــافظ الحجـــاز .

— محـــافظ الشـــام .

— محـــافظ عـــابدين .

— محـــافظ الابحاث .

هذا الى جانب مذكرات العديد من القادة الذين شاركوا فى الأحداث ومنها مذكرات أحمد عرابى المعروفة بكشف الســـتار عن سر الأسرار ، ومذكرات مصطفى كامل ومذكرات محمد فريد ، ومذكرات ابراهيم الهلباوى ، ومذكرات محمد على علوبة وغيرهم .

ثانيا — فى تركيـــا

نظرا لأن مدينة استانبول ظلت دارا للخلافـــة الاسلامية اكثـــر من أربعة قرون ، فقد حوت من تراثنا الاسلامى ما لم تحوه مدينة اســـلامية أخرى لذلك سنخص أهم مكتباتها بالذكر .

١ — المكتبـــة السليمانية :

ويطـــلق عليها اسم (سليمانية عمومى كتبخانـــه سى) أى المكتبة السليمانية العامة ، وقد جمعت الحكومة التركية فى هذه المكتبة محتويـــات

العديد من المكتبات الحكومية ، وجعلتها مقرا للهيئة الحكومية التى تشرف على جميع المكتبات التركية ، وهيأت فهارس منظمة لهذه المكتبة ، وأوجدت بها أماكن خاصة للتصوير ، وخصصت قاعتين للمطالعة احداهما لمطالعة المخطوطات ، والأخرى للباحثين والطلاب ، ويوجد بهذه المكتبة ما يقرب من عشرين الف مخطوط ليست جميعها باللغة العربيـة ، بل منها ما هو مكتوب بالتركية والفارسية .

٢ — مكتبة السلطان محمد الفاتح :

تعد من اقدم المكتبات فى تركيا ، حيث أنشئت فى عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، وهى غنية بالمخطوطات حيث بلغ مجموع محتوياتها ٥١٨٨ مخطوطا .

٣ — مكتبة السلطان احمد الثالث :

وتقع هذه المكتبة بالقرب من مسجد أيا صوفيا ، وبها نفـائس من المخطوطات والكتب والتى من أهمها :

— الفتوحات العثمانية للأقطار اليمنية لابراهيم سنان باشا .

— البرق اليمانى فى الفتح العثمانى للنهروالى .

— صورة الأرض ووصف اشكالها لابن حوقل .

٤ — مكتبـة ايا صوفيـا :

وتضم طائفة من المخطوطات النفيسة والنادرة ومن أهمها كتـابه (فضائل مكة والمدينة لمؤلف مجهول) .

ثالثا — فى الولايـات المتحـدة

مكتبة الكونجـرس الأمريكى :

يبدأ تاريخ مكتبة الكونجرس مع تاريخ الولايات المتحـدة فنتيجـة لاحتياج أعضاء الحكومة الأمريكية ، وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب الى مراجع ومصادر لاجراء بحوثهم ومناقشاتهم كان لابد من انشاء مكتبة لسد هذه الاحتياجات فتأسست مكتبة الكونجرس فى عام ١٨٠٠م ، وعين الرئيس

جيفرسون أول أمين لها . وقد نمت مكتبة الكونجرس نموا رائعا وتوسعت مجموعاتها كل التوسع ، وتعددت خدماتها وتنوعت ، واخذت مركز المكتبة الوطنية ، ثم أصبحت على مر الزمن اضخم مكتبة فى أمريكا ، كما أصبحت مركزا للثقافة العالمية ، الى جانب كونها مركزا للثقافة الانجلوسكسونية ، وأيضا فان تشجيعها للعلوم والفنون والدرس ، جعلها اقرب الى ان تكون جامعة وطنية .

وعلى الرغم من أن مكتبة الكونجرس تقدم خدماتها للكونجرس وجميع موظفى أجهزة الدولة الاتحادية التنفيذية والقضـــائية والعلماء والبحاثـــة والطلاب ، والمكتبات فى أرجاء العالم ، وعلى الرغم من انها ليست مكتبة عامة الا أنها تفتح أبوابها للراشدين من عامة الناس ، وتقدم خدماتها لهم فى حدود الاطلاع الداخلى والتصوير فقط .

والجدير بالذكر أن مكتبة الكونجرس لم تكن المكتبة الوطنية الوحيدة التى تديرها حكومة الولايات المتحدة الاتحادية ، بل يوجد عـــدد كبير من المكتبات الحكومية الأخرى ، ففى واشنجطن وحدها اكثـــر من مائة مكتبة حكومية اتحاديـــة[١٤] .

رابعا — فى أوربـــا

— مكتبة المتحف البريطـــانى :

فى القسم الشرقى منها العديد من الكتب والمخطوطات العربية التى تتعلق بتاريخ العرب ، وبها فهارس بالكتب العربية فى ثلاثة مجـــلدات . وتعد هذه المكتبة أحد مصادر المعرفة الانسانية الكبرى فى العالم ، وقـــد بلغ عدد كتبها فى العقد السادس من هذا القرن اكثر من سبعة ملايين مجلد ، واكثر من مائـــة الف مخطوط[١٥] ، ومن ابرز كنوزها حجـــر رشيد الذى اكتشفه شمبليون الفرنسى ، والذى كان مفتاحا للتعرف على اللغة المصرية القديمـــة .

---

(١٤) حمادة : مرجع سابق ص ٣٥٣ — ٣٦٤ .
(١٥) نفسه ص ٢٢١ .

— مكتبة جامعة ليـــدن بهولندا :

تعد مدينة (ليدن) من اهم مراكز الاستشراق فى أوربا وفيها مطبعة (بريل) التى تعد أكبر واقدم مطبعة عربية فى أوربا ، وفيها طبع العديد من المؤلفات العربية كدائرة المعارف الاسلامية ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف .

وهذه المكتبة تضم ما يقـــرب من المليون ونصف الكتاب وبها قسم شرقى يضم حوالى سبعة آلاف كتاب منهما حوالى ثلاثة آلاف مخطوط .

— مكتبة الفكر الأوربيـــة بألمـــانيا :

قامت الحكومة الأمريكية ببناء هذه المكتبة بعد الحرب العالمية الثانية وجمعت فيها من الكتب ما لم يمكن أن يوجد مثلها فى أى مجتمع بأوربا .

المركز الدولى للوثـــائق :
International Council Archives

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وما جرته على المجتمعات الانسانية من تدمير وخراب ، تبنى بعض المفكرين صيغة من التعاون بين الدول عن طريق اعتماد الثقافـــة والعلوم فى المعاملات الدوليـــة . وفى نوفمبر من عام ١٩٤٥ افتتح فى لندن المؤتمر الدولى الذى كان بداية وميلادا للمنظمـــة الدولية للتربية والعلوم والثقافة التى تعرف بمنظمة اليونسكو ، وخـــلال ذلك الاجتماع اتخذ المؤتمرون قرارا بتشكيل المجلس الدولى للوثائق ، كما تقرر اتخاذ باريس مقرا دائما له ، وكان أولعمل قام به المجلس المذكور هو اعداد أدلة وفهارس بيبليوجرافية للوثائق التى نشرت فى أوربا منـــذ عام ١٩٣٤ ومنذ عام ١٩٠٠ بالنسبة لباقى القارات الأخرى ، فكان ذلك أول مطبوع يؤكد ويدلل على التعاون الدولى فى حقل الأرشيف .

أما عن أهداف هذا المجلس فتتلخص فيما يلى :

(أ) عقد المؤتمرات الدولية للوثائق بصورة دورية .

(ب) اقامةالعلاقات وتنميتها وتعزيزها بين أمناء الوثائق فى كافة البـــلاد .

(هـ) تشجيع كافة الاجراءات المتخذة للمحافظة على التراث الوثائقى الانسانى وصيانتــه .

(د) التعاون مع الهيئات ذات العلاقة بالتوثيق ، وبشكل يضــمن صيانة الخبرة البشرية واستخدام التوثيق من أجل صالح الانسانية[١٦] .

وبعد أن تعرضنا لبعض النماذج من دور المكتبات والوثائق فى العالم ينبغى أن نذكر أن لهذه الدور وغيرها أهميــة قصــوى فى انجاح تكوين الانسان المثقف القادر على تعليم نفسه بنفسه ، والذى يمكنه الافادة من مصادر التعلم . يضاف الى ذلك أن الحــركة التاريخية يصعب عليها أن تنهض بنفسها الا اذا هيئت دور الوثائق والمحفوظات والمكتبات التى تضم أشتات المعلومات نفسها لمساندة المؤرخين وعملت على تيسير الأمور لهم .

---

(١٦) حمودة : المخلوط سابق الذكر ص ٨ — ١٢ .

الفصل العاشر

أبرز رواد التاريخ الحديث من الجامعيين

تحمل عبء تطوير الحركة التاريخية فى مصر اساتذة اعلام ، ومؤرخون ثقات كان لهم فضل الريادة والأستاذية المبرزة ، وستظل أسماؤهم مقرونة بأعمالهم فى خدمة النهضة التاريخية فى مصر ، كما ستظل مؤلفاتهم نبراسا يهتدى به من يأتى بعدهم ويكفى أن نذكر من هؤلاء : **محمد شفيق غربال** رائد الحركة التاريخية فى مصر ، وحسن عثمان المؤرخ الفنان المولع بالأدب الانسانى ، وأحمد عزت عبد الكريم صاحب الينبوع الدافق من العلم والخلق والانسانية ، ومحمد احمد انيس صاحب الحس التاريخى المرهف الذى تخطى الحواجز ، وعالج العديد من الأمور التى كانت محظورة فى تاريخ مصر .

وفيما يلى نعرض لهؤلاء الأعلام .

الأستاذ محمد شفيق غربال

١٨٩٤ — ١٩٦١

ولد محمد شفيق غربال بمدينة الاسكندرية فى عام ١٨٩٤م ونشأ وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارسها ثم اختار الالتحاق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة حيث وجد فيها — كما يذكر — المعهد الذى يصله بالدراسات الانسانية — وتخرج فيها عام ١٩١٥ ثم أوفدته الحكومة المصرية فى بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث بجامعة ليفربول بانجلترا ابان الحرب العالمية الأولى .

ومع فداحة الخطر التى كان يتعرض لها العالم فى خلال هذه الفترة ، وعلى الرغم من مصاعب السفر خلال تلك الآونة فان غربال لم يتردد فى

الذهاب الى انجلترا ليواصل دراسته للتاريخ هناك[١] وقد استطاع أن يثبت مقدرته فحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف فى عام ١٩١٩ وعاد الى مصر ليعمل مدرسا باحدى المدارس الثانوية بالاسكندرية لمدة ثلاث سنوات أوفد بعدها مرة أخرى الى انجلترا للدراسة للحصول على درجة الماجستير بجامعة لندن ثم بمعهد البحوث التاريخية التابع لهذه الجامعة ، وخلال ذلك التقى بالمؤرخ البريطانى الشهير « أرنولد توينبى » الذى كان يشرف على بحوث الدراسات العليا هناك ، ويذكر توينبى أنه منذ لقائه الأول به وجد فيه طالبا موهوبا وأنه تعلم من شفيق غربال أكثر مما علمه ، وأنه تنبأ انه سيكون فى مستقبل حياته باحثا واستاذا ، كما تنبأ بمسلكه الاخلاقى الذى تميز به ، وبكونه موضوعى التفكير ، مستقلا فى الرأى ذا حزم وعزم فيما يتصل بالعمل الذى يتناوله[٢] .

ومن المعروف أن توينبى أشرف على رسالة غربال للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٢٤ وكانت بعنوان

The beginning of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali .

وبعد أن عاد غربال الى مصر فى عام ١٩٢٥ عين مدرسا للتاريخ الحديث فى مدرسة المعلمين العليا ، وهناك بدأ فى تدريس تاريخ الحضارة الاسلامية والكتابة فى هذا المجال[٣] ثم نقل استاذا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٢٩م ثم ما لبث أن رقى بها استاذا للتاريخ الحديث فى عام ١٩٣٦ فكان بذلك أول مصرى يتولى هذا

---

(١) من كلمة الاستاذ محمد فريد أبو حديد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى حفل تأبين الأستاذ محمد شفيق غربال .

(٢) أنظر كلمة الاستاذ أرنولد توينبى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة أثناء حفل تأبيين الاستاذ غربال .

(٣) كتب غربال فصلا بالانجليزية عنوانه « الآراء والحركات فى التاريخ الاسلامى » .

Ideas, Movements in Islamic History .

ضمن كتاب منشور ظهر فى أمريكا فى عام ١٩٥٨ وعنوانه « الاسلام الدين القويم » .

المنصب بالجامعة خلفا للمؤرخ الانجليزى « جرانت » ، ومن هنا بدأ غربال يشق طريقا طويلا فى خدمة الدراسات التاريخية المصرية ، وفى نقل الاشراف على هذه الدراسات من يد القصر الملكى والمؤرخين الأجانب الى يد الجامعة فبدأ فى تكوين المدرسة التاريخية المصرية ، وتمصير الدراسات الخاصة بالتاريخ المصرى وخاصة بعد انشاء الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بالجامعة واشرافه وتوجيهه للبحوث التاريخية .

وقد تمكن غربال بفضل مقدرته العلمية ، ودقة ملاحظته وقوة تأثيره على طلابه ، أن تكون له الريادة الفكرية للمدرسة التاريخية فأقبل عليه تلاميذه بشغف ، واخذ يمنحهم من علمه وفكره ما ينير لهم السبيل دون أن يضن على احد منهم بما يعلمه أو يصد عن بابه طالب علم ، فدفع ذلك تلاميذه الى السعى للحاق به والسمو الى قرب قمته من طريق الحرص على الاجادة وتوخى الدقة[٤] ولم تقتصر جهود غربال فى الجامعة على الناحية العلمية بل تعدتها الى نواحى النشاط الاجتماعى حين سار وكيلا للاتحاد العام لطلاب الجامعة المصرية[٥] وبذلك كان لغربال فضل عظيم فى توجيه اجيال متعاقبة من تلاميذه الذين أخلصوا له الاجلال والتقدير وامتد فضله من طريقهم الى العديد من ابناء هذه الامة[٦] .

اما عن الرسائل العلمية التى أشرف عليها غربال فهى متعددة وقد ارتبط جلها بالعصر العثمانى وعصر محمد على ويرجع ذلك الى انه بسبب اهمال المؤرخين دراسة هذه الفترة فى ذلك الوقت دعا غربال طلابه الى الاهتمام بدراسة التاريخ العثمانى باعتباره مدخلا لدراسة التاريخ المصرى الحديث كما وجههم الى الاهتمام بدراسة تاريخ القرن التاسع عشر بصفة عامة وعصر محمد على بصفة خاصة خصوصا وان نبض الحياة المصرية

---

(٤) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع عشر ١٩٧٢ مقال للدكتور احمد عزت عبد الكريم تحت عنوان محمد شفيق غربال أستاذ جيل وصاحب مدرسة ص ٢٦ .

(٥) مذكرة مقدمة من كلية الآداب جامعة القاهرة بترشيح الأستاذ غربال لجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠ م .

(٦) ابو حديد : المقال السابق ص ١٥٤ — ١٥٥ .

قد اشتد فى ذلك العصر ، كما أن التطورات السريعة والمتلاحقة التى وقعت بمصر خلاله قد احدثت فيها ما يشبه الثورة فى كافة مناحى الحياة بها .

ونتيجة لذلك خرج على يد غربال العديد من الدراسات الأكاديمية فى هذه الموضوعات نذكر منها الدراستين اللتين قدمهما محمد رفعت رمضان ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه وهما « ثورة على بك الكبير »(٧) و « مصر والدولة العثمانية دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٤٠ — ١٨٦٣ » .

والدراسة التى قدمها حسن عثمان للماجستير تحت عنوان « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » .

والدراستين اللتين أعدهما أحمد الحتة للماجستير والدكتوراه « الفلاح المصرى فى عهد محمد على » و « تطور الزراعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » .

والدراستين اللتين قدمهما أحمد عزت عبد الكريم ونال بهما الماجستير والدكتوراه وهما « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » و « تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » .

والدراسة التى أعدها أبو الفتوح رضوان للماجستير وعنوانها « تاريخ مطبعة بولاق » والدراسة التى قدمها محمد محمد توفيق للماجستير تحت

---

(٧) نشرت هذه الدراسة فى عام ١٩٥٠ ، وهى تعالج فترة غامضة من تاريخ مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وتوضح انه فى عهد على بك الكبير أصبحت لمصر شخصية متميزة فلاول مرة فى العصر العثمانى الأول اتصلت مصر مباشرة بالسياسة الخارجية فنجح على بك فى عقد اتفاقات جمركية مع الانجليز ، كما حاول عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية .

للتفاصيل أنظر محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ، القاهرة ، ١٩٥٠ ص ٢٣٢ .

عنوان « مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثمانى [٨] فى مصر » والدراسة التى أعدها فائق جبرة للماجستير تحت عنوان « ضرائب الأطيان المصرية فى عهد محمد على » والدراسة التى قدمها أمين عفيفى للدكتوراه بعنـــوان « تجارة مصر فى عهد محمد على » .

والدراسة التى قدمها عياد دوس للماجستير بعنوان « الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على » والدراسة التى قدمها عبد العزيز الشناوى للماجستير تحت عنوان « السخرة فى حفر قناة السويس » .

ولغربال مؤلفات ليست بالكثيرة ولا بالضخمة ولكن ما كتبه يقترن دائما باسمه ومن هذه المؤلفات رسالته للماجستير بدايات المسألة المصرية وظهور محمد على

The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali

وقد كانت هذه الدراسة حدثا علميا استرعى انظـــار الأســـــاتذة والباحثين وخاصة انها اتســـمت باستقراء الأحـــداث والفحص العـــلمى والمقارنات والناحية التحليلية ، وكثرة المصادر والأسانيد كما اتســــمت بالحياد فى تقويم الأشخاص والبعد عن التحامل والعواطف .

وقد استطاع غربال فى هذه الدراسة تناول التطورات السياســـية فى مصر منذ الحملة الفرنسية حتى وصل محمد على الى الباشوية ، واثبت أن المسألة المصرية كانت جزءا هاما من المسألة الشرقية ، وانه لا يمكن فهم هذه المسألة الا اذا ربطنا بينها وبين ما كان يجـــرى فى الدولة العثمانية وأوربا وهى الطريقة التى سار عليها أستاذه توينبى فى مؤلفاته وهى انه

---

(٨) قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأهم ما يميزها أن بها دراسة عن خط القيرمة فضلا عن قاموس خاص بمصطلحات خاصة بالعصر العثمانى وللاسف لم يتـــم نشر هـــذه الرسالة حتى الآن .

(٩) لا تزال هذه الدراسة باللغة الانجليزية ولم تترجم الى العـــربية بعـــد .

لا يمكن للباحث أن يدرك كنه حقيقة تاريخ أمة من الأمم اذا هو قصر بحثه على تاريخ هذه الأمة واكتفى بتتبع الحوادث التى وقعت فيها وحدهـــا خصوصا أن حوادث العالم متشابكة فلا تقع حادثة فى بلد من البلدان الا امتدت آثارها الى البلدان الأخـــرى بدرجات متفاوته قد تكون قوية أحيانا، وغير مؤثرة فى أحيان أخـــرى .

وتظل هذه الفترة بالذات محور اهتمام غربال ففى عـــام ١٩٣٢ كتب بحثا بعنوان « الجنرال يعقوب والفارس لاسكارس » أوضح فيه مشروع استقلال مصر الذى حمله معه « يعقوب حنا » بعد خروج الفرنسيين من مصر .

وفى الثلاثينات من هذا القرن نشر غربال دراسة تحت عنوان « مصر عند مفرق الطرق — رسالة حسين افندى الروزنامجى » وتشتمل هـــذه الدراسة على تحقيق مخطوط بعنوان « ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين افندى احد افندية الروزنامة فى مصر العثمانية » وهو عبارة عن اسئلة موجهة من « المسيوستيف » مدير مالية مصر خلال الحملة الفرنسية الى حسين افندى حول أحوال مصر الادارية والماليـــة واجابات حسين أفندى عليها [١٠] .

وقد مهدت دراسة هذا المخطوط الطريق لكل من تصدى لتاريخ مصر بالدراسة ، وأكدت أن شفيق غربال كان محققا من الطراز الأول ، كمـــا أوضحت مدى فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى ، وايمانه بدور مصر الحضارى .

ويستمر غربال فى دراسته عن هذه الفترة فيخرج كتابا بعنوان محمد

---

(١٠) انظـــر مجلة كلية الآداب : المجلد الرابع ج ١ ، مايو ١٩٣٦ ص ١ — ٧١ .
والجدير بالذكر أن الاستاذ الامريكى ستانفورد شو Stan Ford Shaw قد قام بنشر هذا المخطوط فى عام ١٩٦٤ تحت عنوان .
Ottoman Egypt in the Age of French Revolution .

على الكبير [١١] وفيه وصف للمناخ الذى كانت تعيشه مصر قبيل عصر محمد على ، ونجاح محمد على فى اقامة سلطة مركزية تجمع كل القوى المتصارعة فى اطار واحد ، وقيامه بحركات اصلاحية وعمرانية واسعة فى شتى المناحى حتى عادت مصر كما كانت مهدا للحضارة ، كما وصف الصفوة المثقفة التى ارسلها محمد على الى أوربا لدراسة العلوم الحديثة وعادت الى مصر لتطبيق العلم على العمل بأنها ساعدت فى النهوض بالزراعة والصناعة وبناء الجيش والأسطول وأخذت عبقريتها تدب فى جسم مصر وروحها كما تدب الخميرة فى العجين ، وأوضح أن ما قام به محمد على من اصلاحات فاق ما كان يقوم به الفرنسيون لو امتد حكمهم فى مصر ، ثم ارجع نجاح محمد على فى اصلاحاته وفشل السلطان العثمانى محمود الثانى فى الاصلاحات التى قام بها فى تركيا الى أن محمد على كان يعتمد على ثلاثة أسس وهى : القوة ، والعلم ، والمال فى حين اعتمد السلطان العثمانى على القوة العسكرية وحدها .

اما عن مساوىء السخرة والاحتكار وقصر المناصب العليا على الأرستقراطية العثمانية وغير ذلك فقد بررها غربال بأنه كان لابد من التضحية بجيل أوجيلين فى سبيل بناء حكومة قوية ومعمرة فى مصر .

واما عن مواقف محمد على من السلطنة العثمانية فقد رأى غربال أن محمد على وهو قائد عثمانى مسلم كان لابد له من مساعدة الخليفة العثمانى على اصلاح دار الاسلام وعلى الاحتفاظ بها مصونة ضد غزوات أعداء الاسلام وأنه ظل على ايمانه بهذا الموقف حتى فقد الثقة بالسلطان بعد صلح كوتاهية فى عام ١٨٣٣ ، وبدأ يفكر فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، واعلان استقلال ما يسمى « عربستان » اى البلاد العربية عنها ولكنه كان يتردد فى اتخاذ هذه الخطوة خشية ما يترتب عليها من المحاذير .

وعند تحليلنا لما كتبه غربال عن محمد على نجد انه تأثر تأثيرا واضحا بأستاذه توينبى فى ايمانه بدور الصفوة المبدعة فى مجالات النشاط البشرى،

(١١) نشر ضمن سلسلة أعلام الاسلام فى عام ١٩٤٤ .

وبنظريته عن فكرة التحدي والاستجابة Challenge and Response، حين تطرق الى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب .

والى جانب ذلك نجـد للاستاذ غربال دراسة قيمة تحت عنـوان « تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية » ، وهى عبارة عن بحث فى العلاقات المصرية البريطانية منذ الاحتلال سنة ١٨٨٢ الى معاهـدة التحالف المصرية البريطانية فى عام ١٩٣٦ (١٢) وهـو كما يـرى صاحبه فى مقدمته « محاولة لتركيب صورة واضحة من الحوادث والوقائع والسياسات والخطط والبواعث والأغراض والأمانى والأحلام والشهوات التى توالت على مصر ، والتى يتكون منها تاريخ العلاقات بين مصر وانجلترة » .

ويلاحظ فى هذا الكتاب بصفة عامة أنه بحث علمى مدعم بالـوثائق والتحليلات العلمية البعيدة عن التحيز المعروضة بأسلوب مشوق جذاب . وفى فصول هذا الكتاب تعرض غربال للمفاوضات المصرية البريطانية بصفة عامة ، وبين كيفية نشأتها وكيف رضى الانجليز والمصريون على انهـا وسيلة لتحقيق الأمانى وصيانة المصالح ، وتعرض للاحداث التى سايرت المفاوضات ، وقدم وصفا موجزا للسياسة العامة للاحتلال تجاه المصريين ثم تطرق الى العلاقات المصرية البريطانية ابان الحرب العـالمية الأولى بصـورة مبدعة ووصف المبررات التى استندت اليها انجلترا كى تفـرض حمايتها على مصر . وموقف الزعماء المصريين من ذلك ، كما تعـرض المؤلف للتحفظات الأربعة التى صحبت انتهاء الحماية فى فبراير ١٩٢٢ ، وتوقف عند عقد معاهدة ١٩٣٦ .

ومع أن كتاب الأستاذ غربال يعتبر فريدا من نوعه من حيث الموضوع وطريقة عرضه وتدعيمه بالوثائق ، وكثرة التحليلات المدعمة بوجهـات النظـر المختلفة ، التى تؤكد فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى يؤخذ على هذا الكتاب أن صاحبه لم يتعرض كثيرا للظروف الدولية العامة

---

(١٢) نشرته مكتبة النهضة المصرية فى مايو ١٩٥٢ اى قبيل ثورة يوليو بشهرين .

ذات التأثير المباشر فى العلاقات المصرية البريطانية ، وربما يكون قـد أجل كتابه ذلك للجزء الثانى من الكتاب الذى كان يعتزم اصداره ولكنه لم يـر النور فقد توفى دون أن ينتهى من كتابته .

وعلى كل حال فان لهذه الدراسة مغزى مهما وهى أنها كانت المحاولة الأولى من جانب غربال للكتابة فى القضايا المعاصرة والتعرض للحركة الوطنية المصرية بعد أن كان القرن التاسع عشر وحده يحتل مكان الصدارة من اهتماماته .

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ القى غربال عشرة احاديث باللغة الانجليزية فى البرنامج الأوربى بالاذاعة المصرية فى عـام ١٩٥٤ [١٣] عن « تكوين مصر » وفيها تحدث عن محبوبته ذات الأحرف الثلاثة وهى مصر فأوضح « أن مصر هبة المصريين » لا هبة النيل كما قال هيرودوت لأن النيل الذى تقع مصر على ضفتيه قد قطع آلاف الأميال قبل أن يصل الى مصر ومع ذلك فلا توجد غير مصر واحدة على طول مجراه أقامها المصريون بكدهم وعرقهم فهم الذين فلحوا الأرض وسقوها وزرعوها ، وهم الذين أقاموا السدود والعمران فى شتى أرجائها ، ولولا جهودهم هذه لتحولت ميـاه النيل الى مستنقعات وأماكن خربة تنتشر منها الملاريا والأوبئة ، ومن هنا فان البشر هم الذين صنعوا مصر ، وهؤلاء البشر الذين فعلوا ذلك هـم المصريون .

كما أثبت غربال فى أحاديثه أيضـا أن مصر مهد الحضارة التى تجمعت حولها كل الأحداث ، وان موجات الغزاة التى وفدت اليها لم تستطع أن تفت فى عضدها أو تؤثر فى شخصيتها .

ونظرا لأهمية هذه الاحاديث فقد جمعت فى كتاب صدر فى القاهرة باللغة الانجليزية فى عام ١٩٥٥ ثم ترجم الى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية فى عام ١٩٥٧ ، كما ترجمته « كارمن رويث برافو » الباحثة بقسم

---

(١٣) اذيعت هذه الأحاديث بعد ذلك من محطات انجليزية وأمريكية متعددة .

الدراسات السامية بكلية الآداب جامعة مدريد الى الاسبانية [١٤] .

أما عن آخـــر ما كتبه غربال فكان بعنوان « منهاج مفصل لدراسة العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم » وقـــد بين فيه العوامل التاريخية التى أثرت فى بناء الأمة العربية وحددها فيما يلى :

١ — الأثر العثمانى فى الأمة العربية .
٢ — الغزو الأوربى وأثره فى الأمة العربية .
٣ — التطور الداخلى للأمة العربية .

كما شرح ظروف وقوع العالم العربى تحت الحكم العثمانى والظروف التى أدت الى الغزو الأوربى للاقطار العربية .

والنتيجة التى خرج بها غربال من دراسته لهذا الموضـــوع هى ان عوامل التدافع والتصادم بين الأمة العربية والقوى الغازية لها انجلت عن ظهور النهضة العربية الحديثة .

والى جانب ذلك فان لغربال جهودا كبيرة فى مجـــال الترجمـــة من الانجليزية الى العربية وبخاصة فى مجال التوجيه والمراجعة والاشراف على نقل عدد من أمهات الكتب التاريخية اللازمة لتثقيف الجيل العربى وافـــادة الدارسين والباحثين [١٥] .

كما أن له العديد من البحوث والمقالات التاريخية المنشورة فى المجلات العلمية [١٦] ففى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية [١٧] وفى تقديمه

(١٤) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الرابع عشر مدريد ، ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ص ٧ — ٤٧ .

(١٥) مذكرة مقدمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية ١٩٦٠ .

(١٦) أنظر على سبيل المثال مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، القاهرة ، مايو ١٩٣٤ دراسة بعنوان « أمير سورى فى ايطاليا » ص ٧٦ — ١١١ .

(١٧) أنظر مادة (الترك) فى الترجمة العربية لـــدائرة المعـــارف الاسلامية .

لكتب تلاميذه واصدقائه وفضلا على ذلك فله عدد كبير من الأحاديث الاذاعية فى موضوعات تاريخية متنوعة منها موضوعات فى التاريخ الاسـلامى ، وسلسلة اخـرى عنوانها « العالم الاسلامى من المحيط الى الخليج لو جمعت فى صورة مدونات لكانت تراثا ضخما من المؤلفات .

وبعد أن تعرضنا لمؤلفات غربال يتضح لنا مدى قدرته وتمكنه من أصول فن التاريخ ، وادراكه لحقائق تاريخ بلده ، يضـاف الى ذلك أن كتاباته تتحلى بالعمق ويتجلى فيها الموضوعية وعدم القاء الاحكام جزافا وانه وان كان قد تأثر بمدرسة توينبى كثيرا فانه لم يخضع فى كثـير من الأحيان لفلسفة تاريخية معينة بل كان يأخذ من كل تفسير بقدر طبيعـة الدراسة التى يتعرض لها والملابسات التى تحيط بها ، وحينما يتعـرض لاحدى القضايا الشائكة التى تتعدد الآراء فيها ، كان معظم الأحيان لا يفرض على القارىء رأيا بعينه بل كان يستشهد بآراء من تعرض لهـذا الموضوع ليبحث القارىء معه عما هو أقـرب من الموضوعية وأحيانا كان يبدى رأيه فى همس هادىء ابعد ما يكون عن التكلف ، واقـرب الى اللمسات الفكهة الانسانية المهذبة .

وعلى كل حال لم تكن مؤلفات غربال ومصنفاته العلمية هى وحـدها كل ما قدمه ، بل لعل اهمها تلاميذه الذين تشربوا ثمرات فكره ، ونبضات عقله فقد سأله يوما احد الأجانب عن آخـر مؤلفاته وكان فى مجلس العلم من تلاميذه فأشار اليهم قائلا هؤلاء هم كتبى (١٨) .

هذا عن غربال وجهوده المتعددة فى المجالات التاريخية أما عن أنشطته العلمية الأخـرى والمناصب المتعددة التى تولاها فقد انتخب شفيق غربال وكيلا لكلية الآداب فعميدا لها فى مايو ١٩٣٩ م

وفى عام ١٩٤٠ نقل غربال من الجامعة الى وزارة المعارف ليبدأ مرحلة جديدة فى خدمة التربية والتعليم ، وهى خدمة وطنية جليلة ، وظل هنـاك

---

(١٨) المجلة التاريخية المصرية : مقال الدكتور عزت عبد الكريم سابق الذكر ص ٢٥ .

حتى ديسمبر ١٩٤٢ يعمل وكيلا مساعدا بالوزارة ثم عاد الى منصبه بالجامعة لادارة دفة المدرسة التاريخية .

وفى يناير ١٩٤٥ نقل الى وزارة المعارف مستشارا فنيا فوكيلا لها الى جانب تعيينه أستاذا غير متفرغ بكلية الآداب فى فبراير ١٩٤٩ واتاح له ذلك الالتقاء بطلابه والاستمرار فى مدرسته التاريخية ثم نقل وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية لفترة أعيد بعدها الى وزارة التربية والتعليم حيث نهض بنصيب كبير فى أعمال لجان المناهج بالوزارة (١٩) .

وفى خلال عمل غربال بوزارة التربية كان له دور بارز فى حركة تمصير المقررات التاريخية بالمدارس ، كما كانت الكتب الدراسية التى اسهم فى وضعها بمثابة النواة التى اهتدى بضوئها الطلاب والكتاب من بعده (٢٠) .

والى جانب ذلك لمس غربال عن قرب مشكلات المجتمع المصرى والحياة المصرية بشكل عام .

وقد قدم غربال للدراسات التاريخية فى مصر خدمات أخرى جليلة تمثلت فى انشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والنهوض بها (٢١) وانشاء متحف الحضارة المصرى فى عام ١٩٤٩ وهو من أعظم مآثرنا العلمية، وكان المشرف على لجانه المختلفة يوجهها بآرائه وتحقيقاته . كما أنه مثل الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية فقد رأس وفد مصر الى الجمعية العمومية لليونسكو فى عام ١٩٤٨ ، وانتخب عضوا بالمجلس التنفيذى لهذه الهيئة عدة سنوات فظل يمثل الشرق الأوسط لدى هذه المنظمة من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥١ .

---

(١٩) ظل غربال بوزارة التربية الى أن احيل الى التقاعد فى عام ١٩٥٤ بعد أن بلغ الستين .

(٢٠) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ ص ٧ كلمة الاستاذ محمد رفعت .

(٢١) للتفاصيل انظر كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ١٤٧ — ١٥٢ .

ويضاف الى ذلك ان هيئة اليونسكو اختارته فى عام ١٩٥١ لعضوية لجنة من اثنى عشر مؤرخا من ابرز مؤرخى العالم ليكونوا مستشارين لها فى شئون تاريخ العالم وهو مشروع المؤلف الضخم الذى تكفلت به اليونسكو .

وبالاضافة الى ذلك كان غربال عضوا بمجمع اللغة العربية فى الفترة بين عام ١٩٥٦ وسنة وفاته ، كما كان عضوا بالمجمع العلمى المصرى ، والجمعية الجغرافية ، والمجلس الأعلى للآثار ، ومركز تسجيل الآثار المصرية القديمة ، وجمعية الآثار القبطية ، ولجنة التاريخ والاثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ورئيس الشعبة التاريخية للجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية هذا الى جانب انه رأس مجلس مديرى الموسوعة العربية الميسرة فيما بين عامى ١٩٥٩ — ١٩٦١ (٢٢) .

وعلى الرغم من مشاغل غربال فى وظائفه التى استنفدت الكثير من وقته ظلت صلته بالدراسات التاريخية مستمرة واستمرت مدرسته التاريخية القائمة على حب البحث والتزام المنهج العلمى قائمة (٢٣) .

وبعد تقاعده تولى منصب مدير معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية فبعث فيه الحركة والنشاط ، ووثق علاقاته بالهيئات العلمية والجامعية التى لم تعرف قبل غربال أن هناك معهدا بهذا الاسم ، كما نهض المعهد فى عهده نهضة علمية كبيرة (٢٤) .

يضاف الى ذلك أن غربال عمل على توجيه طلابه بالمعهد توجيها علميا فأخذ يشرف على عدد كبير من الرسائل التاريخية فى المعهد يتناول تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر حتى خرجت على يديه موضوعات

---

(٢٢) مذكرة مقدمة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠ .

(٢٣) المذكرة المقدمة من الجمعية التاريخية سابقة الذكر .

(٢٤) محمد مهدى علام : مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ، المجمعيون القاهرة : ، ١٩٦٦ ص ١٨٠ .

عن العرب والترك (١٩٠٨ — ١٩١٦) و « تاريخ الوحدة العربية حتى عام ١٩٤٥ » و « المسألة المراكشية ١٩٠٢ — ١٩١٢ » و « اليمن فى عهد الامام يحيى ١٩١١ — ١٩٤٨ » وغيرها .

وظل غربال يشغل منصبه فى هذا المعهد بجدارة وهمة حتى يـــوم وفاته فى ١٩ أكتوبر ١٩٦١ بعد مــرض قصير لم يمهله الا أياما فذهب الى جوار ربه فبكاه أصدقاؤه وتلاميذه ومقدرو علمه وعارفو فضله [٢٥] .

ومما سبق يتضح أن شفيق غربال كان مؤرخا وعالمــا من الطراز الأول يستقرىء الحضارات كما يستقرىء الوثائق والنصوص ، وانه مصرى أصيل عمل فى تواضع ورحابة أفق على النهوض بالدراسات التاريخية فأرسى قواعدها ، ووجهها التوجيه العلمى السليم ، كما يتضح أن جهوده لم تقتصر على انعاش الدراسات التاريخية فى مصر بل تعداها الى المشــاركة فى الحركة الفكرية بكل جوانبها وأبعادها ، ومما يحمد له انه لم يتملق السراى الملكية رغم اعجابه بشخصية محمد على ، فكان بحق المثل الأعلى للأستاذ الجامعى الذى يحق لمصر أن تفتخــر به .

الدكتور حسن عثمان
١٩٠٨ — ١٩٧٣

يمثل الدكتور حسن عثمان نمطا فريدا من المؤرخين المصريين فقد كان فنانا بالدرجة التى كان بها مؤرخا وأديبا ، عشق عصر النهضة الأوربية ، وقد أدى عشقه وتعلقه بهذا العصر الى ايجاد مدرسة مصرية متميزة فى الأدب الانسانى والفنى والاجتماعى ، مدرسة تقوم على المنهج العلمى فى التاريخ وتدعو الى الجمع بين الفن والأدب والتاريخ وادخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنــون الموســيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة فى كليات الآداب بهدف خدمة الدراســات الانسانية والتى من بينها التاريخ [٢٦] .

---

(25) Abdel Rahman Zaki , Mohammed shafik Ghorbal 1894 — 1961, Cairo, 1962 .

(٢٦) انظر كتابه منهج البحث التاريخى ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ص ٤٤ .

والى جانب ذلك كان حسن عثمان من الرعيل الأول الذى أبرز أهمية ترجمة المؤلفات التاريخية من الايطالية الى العربية وجعلها من اهتمامات الباحثين .

تلقى حسن عثمان دراسته الجامعية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ونهل من ينابيع العلم على يد الرعيل الأول من علماء مصر ، وقد عـرف خلال دراسته باجتهاده واخلاصه ونشاطه الدائب فى طلب العلم ، والى جانب ذلك كان يتصف بعدة صفات كريمة لعل أبرزها عزة النفس وأنفة الطبع . ولم يكن حصوله على الليسانس فى التاريخ بدرجة الامتياز فى عام ١٩٢٢ الا ثمرة لكفاحه من أجل الوصول الى التفوق ، وبرغم ذلك عين فى السنة نفسها مدرسا بمدرسة امبابة الابتدائية بالجيزة [٢٧] ثم حصـل حسن عثمان على درجة الماجستير باشراف شفيق غربال فى عام ١٩٣٤ فى موضوع كان يبدو غريبا فى ذلك الوقت وعنوانه « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » وكان بذلك أول من نال درجة الماجستير فى التاريخ الحديث بالجامعة المصرية وبعدها أرسل فى بعثة الى ايطاليا فى عـام ١٩٣٥ م للحصول على الدكتوراه فى تاريخ الشرق الأدنى من جامعة روما وكانت بعثته هذه موفقة غاية التوفيق ، وخاصة وأن البعثات فى ذلك الوقت كانت مقصـورة على انجلتـرا وفرنسـا ، وبعـد أن درس اللغـة الايطاليـة استهوته مظاهر النهضة الايطالية وآدابها وفنونها فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر [٢٨] فدفعه ميله الى الأدب والفن الى دراسة دانتى أحـد أعلام عصر النهضة الايطالية ، ولكن أستاذه لم يوافقه على ذلك فى أول الأمر لسببين :

١ — سوء تقدير الجامعة المصرية للدكتوراه الايطالية .

٢ — أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث هو مجال بعثته .

ولكن هذه المعارضة لم تستمر طويلا فبعد أن أرسل حسن عثمان

---

(٢٧) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤ من خطاب تأبين الدكتور حسن عثمان الذى ألقاه الدكتور محمد السروجى .

(٢٨) من حديث الدكتور عزت عبد الكريم اثناء حفل التأبين .

الى أستاذه غربال ترجمته للجحيم ، بدأ يتفهم مدى شغف تلميذه بدراسة تراث « دانتى » ومبلغ معاناته فى اتمام هذا العمل فكتب اليه فى السادس من نوفمبر ١٩٣٩ يقول « كنت سعيدا من اجلك — فقد لقيت على ما يظهر الكثير من أجل دانتى ، وان اتمام العمل الذى يصحب الانسان عمرا نوع من فك الرقبة — فهنيئا لك نعمة الحرية . وبقى — بعد أن تتم ما تبقى من دانتى أن تدخل (فى اعتبارك) ما اكتسبت من نظرته للانسان . وعلى كل حال فلكل يوم شأنه ، ولنجعل اليوم يوم ارتياح لشأن تم والغد شئونه » (٢٩) .

وحصل حسن عثمان على الدكتوراه من جامعة روما فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وعين فى اعقابها مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وبقى كذلك حتى نقل الى كلية الآداب جامعة الاسكندرية فى عام ١٩٤٢ ليشغل وظيفة مدرس فى التاريخ الحديث . وفى مارس ١٩٤٧ رقى الى وظيفة أستاذ مساعد وبقى بها الى أول ديسمبر ١٩٥٠ ، ثم نقل الى معهد الدراسات السودانية بجامعة القاهرة أستاذا لكرسى تاريخ السودان وآثاره .

وفى عام ١٩٦٤ تولى منصب رئيس المعهد ، وبقى الى أن احيل الى المعاش فى عام ١٩٦٨ ، وظل يشغل وظيفة استاذ تاريخ السودان حتى وفاته فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أشرف الدكتور حسن عثمان على عدد من الرسائل وبخاصة فى أثناء عمله بمعهد الدراسات الافريقية نذكر منها الرسالة التى اعدها جميل اسحق عبيد للدكتوراه وعنوانها مديرية خط الاستواء فى الفترة من ١٨٦٣ — ١٨٩٤ .

وللدكتور حسن عثمان العديد من المؤلفات المتنوعة باللغات العربية والايطالية والانجليزية وان كان معظمها يدور حول الشاعر الايطالى دانتى وتلك الأبحاث هى :

١ — البحر الأحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والمماليك .

---

(٢٩) حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ص ٩٤ .

٢ — دير الأنبا انطونيوس .

وقد نشر البحثان فى كتاب بعنوان « رحلة كلية الآداب الى ساحل البحر الاحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلى برياسة الأستاذ شفيق غربال » .

٣ — كيف يكتب التاريخ ، سبع مقالات بمجلة الرسالة (٣٠) .

٤ — البحر مناجاة أدبية (٣١) .

٥ — فخر الدين الثانى أمير لبنان وبلاط تسكانا (١٦٠٥ — ١٦٣٥) عرض ونقد لكتاب الأب بولس قرالى مع تقــديم وثائق جــديدة لــم تنشر عنه (٣٢) .

٦ — سافونا رولا (أربع مقالات) (٣٣) .

٧ — سوريا ولبنان فى التاريخ المعاصر — عرض ونقد لكتاب البرت حورانى (٣٤) .

هذا عن ابحاثه ودراساته المتنوعة . أما ابحاثه عن دانتــى فهى كثيرة نذكر منها :

١ — دانتى اليجييرى : حياته وشخصيته (٣٥) .

---

(٣٠) أنظر اعداد مجلة الرسالة اغسطس — ديسمبر ١٩٤١ .

(٣١) أنظر مجلة الرسالة عدد ١٧ نوفمبر ١٩٤١ .

(٣٢) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، المجلد الســادس ١٩٤٢ .

(٣٣) أنظر مجلة الثقافة الأعداد ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ سبتمبر — نوفمبر ١٩٤٣ .

(٣٤) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الأول اكتوبر ١٩٤٨ .

(٣٥) أنظر الكاتب المصرى : العدد ٣١ المجلد الثامن ابريل ١٩٤٨ .

٢ — فرنتشسكا داريمينى عند دانتى اليجيرى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من « الجحيم » [٣٦] .

٣ — فارينانا دلى أوبرتى وكافا لكانتى دى كافالكانتى فى جحيم دانتى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم [٣٧] .

٤ — أوجو لينودى لاجيرار دسكا فى جحيم دانتى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم [٣٨] .

٥ — الأنشودة الخامسة من مطهر دانتى ، ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من المطهر [٣٩] .

والى جانب ذلك كان لقيام حسن عثمان بالتدريس فى معهد البحوث والدراسات الافريقية أثره فى دراسته للكوميديا الالهية اذ اخذ يهتم بابراز ما ذكره دانتى عن افريقية ، ونتيجة لذلك كتب ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع . أولها « افريقية فى جحيم دانتى » وقد قام فيه بترجمة بعض النصوص الواردة فى هذا الموضوع وقدم لها بالعديد من التعليقات والشروح [٤٠] .

وثانيها كان بعنوان « افريقية فى مطهر دانتى » وقدم فيه نصوصا من المطهر للاستشهاد بها مع تحليلها والتعليقات عليها [٤١] .

---

(٣٦) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ ١ المجلد ١١ مايو ١٩٤٩ .

(٣٧) انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ ٢ المجلد ١١ ديسمبر ١٩٤٩ .

(٣٨) انظر مجلة الآداب جامعة فؤاد الأول حـ ٢ المجلد ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ .

(٣٩) انظر مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة جـ ١ المجلد الثامن عشر مايو ١٩٥٨ .

(٤٠) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ١٩٥٦ .

(٤١) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٠ .

أما الثالث نكان بعنوان « افريقية فى فردوس دانتى » وهو عبارة عن ترجمة لبعض النصوص من الفردوس وتحليلها والتعليق عليها .

وكتب الدكتور حسن عثمان بحثا بالانجليزية بعنوان :

Dante in Arabic, In the Seventy. third Annual Report of the Dante Society of America Widener Library, Harvard university, Combridge Massachuseets U.S.A., 1955 .

كما كتب مقدمة بالايطالية والعربية لكتاب الاستاذ « طه فوزى » عن دانتى اليجييرى الذى صدر فى القاهـــرة .

أما الكتب التى ألفها أو ترجمها فهى :

١ — رسالته للماجستير المعنونة « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » نوقشت بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ولم تنشر حتى الآن .

2 — Fa Khr-ud-Din II Emero del Libanoe le Sue Relazioni-con l'occidente, Con Documenti Inediti, p. 1 Roma, 1938.

وهى رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة روما فى عــام ١٩٣٨ ولم تنشر الى الآن (٤٢) .

٣ — تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ — ١٧٩٨) وقد نشره بالاشتراك مع الأستاذ محمد محمد توفيق فى كتاب « المجمل فى التــاريخ المصرى » (٤٣) الذى أصدره بعض أعضاء هيئة التدريس بكليـــة الآداب بجامعة فؤاد الأول فى عام ١٩٤٢ .

٤ — منهج البحث التاريخى وقد صدرت منه طبعات عديدة كان أولها فى عام ١٩٤٣ . وهذا الكتاب من المؤلفات ذات الأهمية القصوى لــــدى الباحثين ، وخاصة أن صاحبه اعتمد فيه على خلاصة ما ورد فى العديد من

---

(٤٢) من خطاب التأبين للدكتور السروجى ص ٦ .

(٤٣) اعتمد المؤلفان فى هذا الكتاب على العديد من الوثائق التركية التى تتعلق بتاريخ الادارة العثمانية فى مصر .

المؤلفات الأوربية والأمريكية والعربية الخاصة بمناهج البحث كما أنــــه استرشد فيه ببعض ما كتبه علماء المسلمين فى الرواية والحديث .

٥ « سافونا رولا : الراهب الثائر » وقد صدر عن دار الكاتب المصرى بالقاهــرة فى عام ١٩٤٧ وحاز به صاحبه على جائزة الدولة فى عــــام ١٩٤٩ م .

٦ — على أن اهم عمل قام به حسن عثمان هو ترجمته للكوميديـــا الالهية والتى قام بنشرها فى الفترة من ١٩٥٩ — ١٩٧٢ وقد صــدر منها :

(أ) النشيد الأول « الجحيم » فى عام ١٩٥٩ .

(ب) النشيد الثانى « المطهر » فى عام ١٩٦٤ .

(جـ) النشيد الثالث « الفردوس » فى عام ١٩٧٢ .

وقد زودت هذه الترجمات بمقدمة وتحليل وشروح وتعليقات .

وطريقته فى ترجمة الكوميديا هى أن يجمع فى النص المترجم بين روح البيان العربى والمحافظة على المعنى .

ونتيجة للجهود المضيئة التى بذلها الدكتور حسن عثمان وبخاصة فى ترجمة أمهات الأدب الايطالى — فى مجال الدراسات الدانتية — الى العربية حصل على العديد من الجوائز منها .

١ — ميدالية « أوسكار داماليا » الذهبية الدولية فى عــــام ١٩٦٥ بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لميلاد دانتى (بالاشتراك مع اســـــاتذة آخــرين) .

٢ — جائزة الدولة التشجيعية فى فن الترجمة مع وسام المعارف من الدرجة الأولى .

٣ — جائزة اللجنة الوطنية الايطالية الدانتية من فلورنسا فى ٣٠ ابريل ١٩٦٦ .

٤ — جائزة وزارة الخارجية الايطالية فى روما فى ٢٨ يوليو ١٩٦٦ .

٥ — الميدالية الذهبية من المجمع العلمى للعلماء الدانتيين فى روما فى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ (بالاشتراك مع أساتذة آخرين) .

٦ — الميدالية الذهبية من « جمعية دانتى البجييرى » فى بالرمو فى ١٥ ديسمبر ١٩٦٦ .

٧ — الدكتوراه الفخرية من جامعة بالرمو بصقلية فى ٨ مايو ١٩٧٣ .

والى جانب ذلك اشترك الدكتور حسن عثمان فى العديد من المؤتمرات الدولية منها .

١ — المؤتمر الدولى الدانتى فى فلورنسا فى ابريل ١٩٦٥ .

٢ — المؤتمر الدولى الدانتى فى افينون فى أكتوبر ١٩٦٥ .

يضاف الى ذلك أنه كان عضوا فى العديد من الجمعيات العلمية نذكر منها عضويته بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وجمعية دانتى بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، وعضويته الفخرية فى المجمع العلمى للعلماء الدانتيين فى روما [٤٤] .

وكانت آمال الدكتور حسن عثمان العلمية كبارا ، فقد كان ينوى قبل وفاته أن يفرغ للقيام بدراسة عن العلاقة بين الموسيقى والأدب فى عصر دانتى ، ومن المشروعات التى راودته ، وشغلت تفكيره أيضا ترجمة أعمال بترارك ، ولكن المنيه أعجلته عن أن يحقق شيئا من ذلك .

وتقضى مشيئة الله أن تنعاه مصر فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ فى خلال انتصاراتها فى معارك اكتوبر ، وفى يوم وداعها لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فيضيع نبأ وفاته فى زحمة الأحداث [٤٥] .

---

(٤٤) من خطاب التأبين الدكتور السروجى ص ١٠ .

(٤٥) نفســه .

الدكتور احمد عـــزت عبد الكريم

١٩٠٩ — ١٩٨٠ م

ولد الدكتور احمد عزت عبد الكريم فى شبين الكوم فى عام ١٩٠٩ م، وأتم تعليمه الابتدائى بمدرسة قنا الابتدائية سنة ١٩٢٢ والثانوى بمدرسة الزقازيق سنة ١٩٢٦ وقد برز تفوقه فى الدراسة منذ تخرجه فى كلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٠ ثم تابع دراساته العليا فحصل على درجـــة الماجستير فى عام ١٩٣٦ باشراف الأستاذ محمد شفيق غربال وكان موضوع رسالته هو « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » ثم كان أول من ينـــال الدكتوراه فى التاريخ من خريجى الجامعة وكان ذلك عـــام ١٩٤١ وكان موضوع رسالته « تاريخ التعليم منذ أواخـــر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » وكانت باشراف غربال أيضا .

وقد عمل عزت عبد الكريم بالتدريس فى جامعة فؤاد الأول منذ عـــام ١٩٣٨ ثم نقل الى جامعة عين شمس منذ انشائها فى عام ١٩٥٠ حتى توفاه الله فى عام ١٩٨٠ .

وقد اجتمعت فى الدكتور عزت عبد الكريم كل سمات المؤرخ من حيث تحقق الضمير العلمى ، وعدم التحيز ، والتسامح ، وادراك المـــواقف ، والربط بين الأحداث ، يضاف الى ذلك نبل خلقه ، وذكاؤه المتوقد . وكل هذه الصفات جعلت منه ينبوعا دافقا من العلم والخلق والانسانية ، وسفرا شع ضياؤه على المدرسة التاريخية الحديثة .

ونتيجة لذلك دعى للتدريس والقاء المحاضرات ومناقشة الرســـائل الجامعية فى كثير من الجامعات العربية والأجنبية فى دمشق ، وبنغـــازى ، والخرطوم ، وبيروت ، والكويت ،ووهران فأكسبه هذا سمعة علميـــــة مرموقة فى مختلف المؤسسات العلمية العربية ، وعمل استاذا زائـــرا فى جامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٥٢ وأتيح له حضور عدد من المؤتمرات العلمية فى التاريخ : مؤتمر التاريخ والآثار فى المغـــرب عام ١٩٥٨ ومؤتمر التاريخ الآسيوى فى الهند عام ١٩٦١ ومؤتمر التـــاريخ

الدولى فى بغداد ١٩٧٣ [٤٦] ومؤتمر الحضارة العربية بالجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٥ [٤٧] .

هذا بالاضافة الى قيامه بالتدريس بمعهد البحوث والدراسات العربية منذ انشائه . وفى كل هذه المجالات تميز الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بسمات الأستاذ العالم من اهتمام بمحاضراته وبحوثه ، وتوثيق علاقته الأبوية بطلابه الذين ترك فيهم آثارا باقية كان يغذيها استمرار صلاته بهم بعد التخرج من الناحية العلمية والناحية الاجتماعية .

ولعل مما يضاف الى رصيده العلمى انشاءه لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس فى عام ١٩٥٥ للاشراف المتواصل على أبحاث تلاميذه بالدراسات العليا وتدريبهم على أصول البحث العلمى وتوجيههم الى المادة التاريخية الأصلية ، وبقى مواظبا فى شتى الظروف على عقد هذه الجلسة العلمية مساء كل يوم خميس حتى صار السمنار الذى يحمل اسمه سمة مميزة وبارزة فى مجال العلاقات الجامعية والعمل العلمى وصار له فى مختلف الجامعات المصرية والعربية تلاميذه ومريدون يشغل معظمهم منصب الأستاذية فى هذه الجامعات .

وقد وجه الدكتور عزت عبد الكريم تلاميذه فى الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر ومن الرسائل التى خرجت على يديه فى هذا المجال نذكر رسالتى الدكتور عبد العزيز نوار للماجستير والدكتوراه « داود باشا والى بغداد ١٨١٦ — ١٨٣١ » و « تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ١٨٣١ — ١٨٧٢ » ورسالتى الدكتور جمال زكريا قاسم للماجستير والدكتوراه « دولة البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١ — ١٦٨١» ورسالتى الدكتور السيد مصطفى سالم للماجستير والدكتوراه «اليمن فى عهد

---

(٤٦) من مذكرة قدمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية الى المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية عام ٧٢ — ١٩٧٣ .

(٤٧) سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسه ص ٥ .

الامام يحيى » و « الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ — ١٦٣٥ » ورسالتى الدكتور يونـــان لبيب رزق للماجســـتير والدكتوراه « العلاقات الخارجية للدولة المهدية فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى » والسودان فى عهـــد الحكم الثنائى الأول ١٨٩٩ — ١٩٢٤ .

ومما يجدر بالذكر أيضا أن الدكتور عزت عبد الكريم أسهم أسهامات جادة منذ سنوات طويلة فى اعداد المناهج التاريخية للمدارس الثانـــوية كما شارك فى وضع بعض الكتب المدرسية واهمها كتابه فى تاريخ العـــالم العربى الحديث والمعاصر .

وفى مجال التأليف والترجمة نجد للدكتور عزت عبد الكريم مؤلفـــات تقترن باسمه منها « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » و « تاريخ التعليم منذ أواخـــر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » كما شارك فى تأليف كتاب تاريخ أوربا الاقتصادى والمجمل فى تاريخ مصر العام .

ولعل آخـــر كتبه كان كتابه « دراسات فى تاريخ العـــرب الحديث » وفيما يلى نعرض لهذه المؤلفات .

١ — تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

بحث علمى مدعم بالوثائق فى كل فصل من فصوله ويتميز فيه صاحبه بحسن التعليل والتدليل والقدرة على الموازنة والمقارنة بين المصـــادر ، ومحاولة كشف ما فيها من غموض .

تاريخ أوربا الاقتصادى .

يستشف فيه المزج الدقيق بين التطور الاقتصادى فى أوربا الحديثة وتاريخها السياسى والاجتماعى .

المجمل فى تاريخ مصر العام .

والكتاب به فصل للدكتور عزت عبد الكريم عن مصر من الحملـــة الفرنسية حتى عام ١٨٧٩ وهو عبارة عن دراسة هامة يرجع اليهـــا الدارسون لتطور مصر الحديثة .

دراسات فى تاريخ العرب الحديث .

ويضم هذا الكتاب ست دراسات فى تاريخ العرب الحديث سبق نشر أربع منها أما الدراستان الخامسة والسادسة فلم يسبق نشرها ، وهذه الدراسات الست على الرغم من تنوعها من حيث الموضوع والزمان والمكان فانها ترتبط باطار واحد هو اطار التاريخ العربى الحديث منذ بدايته فى فترة الفتوح العثمانية حتى حرب يونيو ١٩٦٧ وآثارها ، فاذا كان عنوان الفصل الأول هو « العلاقات بين الشرق العربى وأوربا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر » فان عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب « المعالم الرئيسية فى تاريخ القضية الفلسطينية » وبين هذا وذاك تتناول فصول الكتاب دراسات منوعة من تاريخ العرب الحديث فى المشرق والمغرب فعن المشرق تناول الفصل الثانى من الكتاب « التقسيم الادارى لسورية فى العهد العثمانى » وتناول الفصل الثالث « دمشق فى منتصف القرن الثامن عشر » ودرس الفصل الرابع « نهضة مصر فى القرن التاسع عشر » أما عن المغرب فقد تناول الكتاب فى فصله الخامس « المسألة الجزائرية فى السياسة الدولية منذ تأسيس النيابة الى حملة ١٨٣٠ » .

وفى مجال التحقيق العلمى أصدر الدكتور عزت عبد الكريم تحقيقا لحوليات الكاتب الدمشقى أحمد البديرى الحلاق الذى صور الحياة الاجتماعية فى دمشق فى القرن الثامن عشر ، وقد صدر تحقيقه لهذه المخطوطة بمقدمة طويلة عن أحوال سورية فى القرن الثامن عشر .

وفى هذا المجال أيضا نشر فى حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عن « التنظيم الادارى بسورية فى العصر العثمانى » هذا الى جانب بحوث أخرى نشرت فى مجلات وحوليات علمية متعددة فى « أصول المسألة الجزائرية » و « التغيير الاجتماعى لمجتمع القاهرة فى القرن التاسع عشر » و « أزمة الفكر العربى فى مطلع العصر الحديث » و « الجبرتى مؤرخ مصرى على مفترق الطرق » .

وفى مجال الترجمة أسهم الدكتور عزت عبد الكريم فى ترجمة كتاب « البندقية جمهورية أرستقراطية » لشارل ديل كما راجع عددا من

الترجمات المهمة التى اثرت المكتبة العربية فى موضوعات لها أهميتها ، ساعده فى ذلك تمكنه العلمى ، والمامه الواسع بأساليب اللغتين العربية والانجليزية وقد عرف عنه الدقة والحرص فى هذا المجال (٤٨) .

والى جانب ذلك اصدر الدكتور عزت عبد الكريم سلسلة « المكتبة التاريخية » ذلك المشروع العلمى الذى قام على أساس تكوين سلسلة من الدراسات التاريخية بأقلام المتخصصين فى شتى فروع المعرفة التاريخية ليستفيد منها طلاب الجامعات وكل صاحب حظ من ثقافة ، وقد اخذ هذا المشروع طريقه الى الظهور فى يونيو ١٩٥٨ ، وصدر الدكتور عزت عبد الكريم كل كتاب من هذه المجموعة بمقدمة علمية شاملة (٤٩) .

ونتيجة لجهود الدكتور عزت عبد الكريم المثمرة ودوره فى خدمة الدراسات التاريخية تم اختياره رئيسا للجمعية التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥ — ١٩٧٦ وقد بذل فيها من جهده ووقته وخاصة فى مجال تنظيم الندوات والمواسم الثقافية ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها فى تاريخها . ويرجع نجاح هذه الندوات الى الجهود التى كان يبذلها فى الترتيب والتنظيم والادارة الحكيمة ، والى خبرته وولعه الشديد بأن تأتى ثمار هذه الندوات يانعة (٥٠) فقد حرص على اقامة ندوة سنوية لمناقشة حياة مؤرخ من أعلام مؤرخى مصر وسيرته ومنهجه وأعماله العلمية على نحو علمى يليق بمكانته وذلك بهدف احياء ذكرى اعلام المؤرخين . وحتى يتوفر لمثل هذه الندوات الامكانات المالية والاعلامية وغيرها شارك المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى هذه الندوات . وقد بدأت هذه الندوات بندوة عن المؤرخ « تقى الدين المقريزى » فى الرابع من مايو ١٩٦٦ وتلتها ندوة عن المؤرخ « القلقشندى » ثم ندوة عن المؤرخ « عبد الرحمن بن عبد الحكيم » وندوة عن « أبى المحاسن بن تغرى بردى » وتبعتها الندوة العلمية عن « ابن اياس » ثم احتفلت الجمعية فى عام

---

(٤٨) مذكرة الجمعية التاريخية بشأن ترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية .

(٤٩) أنظر العدد الأول من السلسلة .

(٥٠) د. عبد المنعم الجميعى : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ص ١٥٧ .

١٩٧٤ بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة المؤرخ « عبد الرحمن الجبرتى » .

ويضاف الى ذلك أن الدكتور عزت عبد الكريم دفع الجمعية الى المشاركة فى العديد من المناسبات العلمية والقومية فقد أقامت الجمعية « ندوة مصطفى كامل » بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الزعيم الوطنى مصطفى كامل .

ولم تقتصر ندوات عزت عبد الكريم على الجمعية التاريخية بل أقام فى سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الذى يعتبر لبنة من لبناته العديد من المؤتمرات السنوية فنظم السمنار ندوة « وثائق تاريخ العرب الحديث » وندوة « البحر الأحمر فى التاريخ » وندوة « الثورة العرابية بمناسبة مرور مائة عام على قيامها » .

هذا عن الدكتور عزت عبد الكريم الباحث والمعلم والمؤرخ وهناك مجال آخر برز فيه وهو التطبيق العلمى لأفكاره ولأستاذيته فى مجال أوسع حين تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ثلاث سنوات ١٩٦١ — ١٩٦٤ شهدت فيها الكلية آثار جهوده وعلاقاته بطلبته وأعضاء هيئة التدريس فقد كان قدوة فى الأنكباب على العمل فى دقة واحاطة واسعة . وقد أهله ذلك لتولى وكالة جامعة عين شمس ثم عين مديرا للجامعة نفسها فى عام ١٩٦٨ حتى أحيل الى المعاش فى العام التالى .

ولم تقتصر جهوده فى خدمة التعليم الجامعى على جامعة عين شمس وانما امتدت الى التعليم الجامعى بصفة عامة فاختير رئيسا للجنة قطاع الدراسة والعلوم الانسانية بالمجلس الأعلى للجامعات وهى اللجنة التى اشرفت على تطوير الدراسة بكليات الآداب ، ودار العلوم فى سنتى ٦٨ — ١٩٦٩ كما كان أيضا مقررا للجنة الدائمة لفحص انتاج أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية .

وقد شارك الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى نشاط « المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية » عدة سنوات فكان عضوا به ، كما عمل عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس .

وهكذا كان للدكتور عزت عبد الكريم الأثر الكبير فى تكوين جيل كبير من دارسى التاريخ الحديث وأساتذته فى شتى البلدان العربية طوال مدة تربو على الأربعين عاما قضاها فى حماسة وصبر كبيرين ، فكان بذلك من الأفذاذ الذين شقوا طريقهم بقلمهم وفكرهم ، فترك الدنيـــا بعد ان خلف وراءه تراثا هاما للأجيال القادمة واستطاع بذلك ان يسيطر اسمه فى جبين تاريخنا الحديث .

الدكتور محمد أنيس

١٩٢١ — ١٩٨٦ م

المؤرخون نوعان نوع تصنعه الظروف ، ونوع يستطيع أن يصـــنع الظروف . النوع الأول يقتصر دوره داخل حدود الحرم الجـــامعى ، ولا يزيد فكره على مجرد معلومات موضوعة بين دفتى كتبه أما النوع الثانى فهو موهوب لديه ملكة النقد والفحص والاستقراء والأفق الواسع وكثيرا ما يسبق فكره عصره . والدكتور محمد أنيس من النوع الثانى فانـــــه كان مؤرخا يملك القدرة على ادراك المواقف ، ويحترم فكره ، ويصـــون نفسه عن الامتهان ، لا يداهن ولا يرائى ويتحلى بسلامة الفكر ، وصواب الحكم ، وعمق الايمان بقضايا امته ، وكان على استعداد لمواجهة أعتى التحديات والمخاطر فى سبيل الدفاع عن حق يعتقده أو فكرة يؤمن بها ، أو من أجل الدفاع عن مظلوم سلب حقه ، أو اعتدى على فكرة دون يأس او كلل أو استسلام يضاف الى ذلك أنه قاد مدرسة التاريخ الاجتماعى فى مصر لا بقلمه وفكره فحسب وانما بأعصابه وشرابينه حتى أخذت هـــذه المدرسة تدلى بدلوها ضمن المدرسة التاريخية المصرية وقد ولد الدكتور محمد أنيس فى ٢١ / ٨ / ١٩٢١ وحصل على ليسانس التاريخ فى عـــام ١٩٤٣ وكان الأول على دفعته فأوفدته الجامعة فى بعثة دراسية لدراســـة التاريخ الحديث فى لندن فحصل على الدكتوراه فى عام ١٩٥٠ وكان موضوع رسالته يدور حول الصراع على البحـــر الأحمر كطريق للمواصــــلات فى القرن الثامن عشر وعنوانها :

The Development of British interests in the late 18 th Century

وقد اعتمد فى دراسته هـذه على الارشـيف الانجليـزى فى العصر العثمانى .

وبعد أن اتم الدكتور أنيس رسالته عاد الى مصر ليعمل مدرسـا لتاريخ الحديث بجامعة القاهـرة . وفى خلال ذلك اثبتت عقليته الواعية المتفتحة وحسه التاريخى المرهف القدرة على التمييز بين ما يدور حوله ، كما استطاع بدقة ملاحظته وحرية فكرة أن يتخطى الحواجز ، ويعـالج الكثير من الأمور التى كانت تعد محظورة فى ذلك الوقت . ففى الخمسينات من هذا القرن حينما كانت مصر تنتقل من العصر الملكى الى العصر الجمهورى، وكان كل صاحب رأى يعد خطـرا فى نظـر السلطة كانت محـاضرات الدكتور أنيس الجريئة بالجامعة تطرح القضايا الشائكة التى كانت تجول بخواطـر الطلاب حول المـاضى والحاضر والمستقبل والعلاقة بين الوطنية والحرية والسيادة والاستقلال ، وعلاقة مصر بالعالم العربى بصفتها مركز الثقل فى المنطقة العربية ، وكان الدكتور أنيس يطرح الأسئلة التى تبحث عن اجابات ليشحذ همم طلابه ، ويستثير نفوسهم ، ويدفعهم الى التفكير من أجل البحث معه عن الحقيقة ، ثم يقوم بمناقشة ما طـرحه من أسئلة من جميع نواحيها فى لغة سهلة يسيرة تتميز بعفوية الحركات ، وحسن الاستطراد وبساطة الطرفة والجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والأسلوب الذى يفضى الى تفهم هذه الحقائق . وبعد أن يضع الدكتـور أنيس النقاط على الحروف يخرج طلابه من قاعات الدرس وهم يشعرون انهم أصبحوا أقدر على فهم وتفسير الأحداث التى تلاحق وطنهم لذلك احبه طلابه وقدروا فيه فكره ومقدرته ودقة ملاحظته وصفاء ذهنه واتسـاع خياله وادراكه للمواقف هذا فضلا عن روحه المرحة .

وحين تعرض الدكتور أنيس لمضايقات السلطة التى كانت تلاحقه وتمهد لفصله من الجامعة فى عام ١٩٥٤ أضرب تلاميذه فى قسم التاريخ عن الدراسة دفاعا عن أستاذهم واحتجاجا على ما يحاك ضده ، ونتيجـة لالحاح طلابه عاد الى قاعة الدرس ليلقى محاضراته ، وليرفع عاليا راية القيم الجامعية الحقة [٥١] .

(٥١) الأخبار فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للاستاذ نبيل زكى تحت عنـوان « لله وللتاريخ » .

وحين وقع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وكانت الجامعة لاتزال مفتوحة ، والطلاب ينتظرون محاضرة استاذهم ، دخل الدكتـــور أنيس قاعة المحاضرة ولم يقل غير كلمات محدودة « ليس الآن وقت الكلام ، وانما هـــو وقت النضال ، وليس عندى ما أقوله سوى دعوتكم جميعـــا الخروج فى هذه اللحظة ، والانضمام الى مركز التدريب » .

وهكذا خرج الطلاب يبحثـــون عن تلك المراكـــز التى كان يجـــرى اعدادها على عجل (٥٢) .

لقد احب الدكتور أنيس مصر وعشق تاريخها ، فعبر بقلمه وفكره عن قضايا وطنه ، ووجه درس التاريخ الاجتماعى — وبخاصـــة بعـــد وصوله الى كرسى أستاذية التاريخ فى جامعة القاهـــرة — وهو الدرس الذى يـــرى أن المحرك الأول لتسيير التاريخ هو الشعب ومن هنا حاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابراز دور المقاومة الشعبية ، ورد اعتبار الشعب المصرى ومسيرته فى صنع الأحداث ، ومقاومة الوطنيين للنفـــوذ الاستعمارى بكافة اشكاله ، وابراز دور الحركات الوطنية فى مواجهـــة الاحتلال ، كما تصدى لدور المدرسة الاستعمارية التى ترى أن استمرار حركة التغريب هى الطريقة المثلى لحاق الشرق بالغرب ، وأن مواكبـــة الغرب والتبعية له ضرورة حيوية لانقاذ الشرق من براثن التخلف وانطلاقا من ذلك وجـــه الدكتـــور أنيس تلاميـــذه فى الدراســـات العليـــا الـــى التركيز على دراســـة الحركات الوطنيـــة فى مصر ، وثورات التحرر فى العالم العـــربى ، ودراسة القوى الاجتماعية ، ودورها فى مواجهـــة الاستعمار والمتمثلة فى الحركات العمالية والطلابيـــة والفلاحيـــة وطبقـــة المثقفين ، وقد خرجت على يديه عشرات الرسائل فى هذا المجال نذكـــر منها رسالتى الدكتور عبد العظيم رمضان الماجستير والدكتوراه « تطـــور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦ » و « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى بداية الحرب العالمية الثانية » ورسالة

---

(٥٢) الأهرام فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للدكتور عادل غنيم تحت عنـــوان « محمد أنيس .. المؤرخ الوطنى الذى فقدناه » .

الدكتور على بركات للدكتوراه « تطور الملكية الزراعية فى مصر واثره على الحركة السياسية ١٨٤٦ — ١٩١٤ » ورسالة الدكتور مصطفى النحاس جبر للماجستير « سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ ورسالة الدكتورة نوال راضى للماجستير « الحركة العمالية وأثرها فى تطور التاريخ السياسى فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٣٠ » ورسالة الدكتور عبد المنعم الجميعى للماجستير « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ورسالتى الدكتور عادل غنيم للماجستير والدكتوراه « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ و « الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية » ورسالة الدكتور اسماعيل ياغى للماجستير « حركة رشيد عالى الكيلانى » ورسالتى الدكتور عبد الأمير العكام للماجستير والدكتوراه « تاريخ حزب الاستقلال العراقى ١٩٤٦ — ١٩٥٩ » و « الحركة الوطنية فى العراق ١٩٢١ — ١٩٣٣ » ورسالة عبد الله جندى أيوب للماجستير « كفاح الأمير عبد القادر الجزائرى ضد الفرنسيين فى الجزائر » ورسالة أحمد صدقى الدجانى للماجستير « نشأة الحركة السنوسية ونموها فى القرن التاسع عشر » ورسالة عبد الفتاح أبو عليه للماجستير « الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ — ١٨٩١ » ورسالة خيرية قاسمية للماجستير « الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ » واغلب الظن أن فترة طويلة ستمضى حتى يمكن دراسة المجالات التى دعا اليها الدكتور أنيس وفتح أبوابها ومد آفاقها خاصة وانه كان يخوض غمار الأفكار الصعبة ولا يقتنع باليسير الهين دون أن يكل عزمه أو يفتر ازاء ما يلقى من صعاب .

لقد كان الدكتور أنيس يكره الظلم ومحاولات قهر الانسان ولم يكن يداهن أو يرائى بل كان كالمرآه الصافية متواضعا لا يضيق صدره أو ينقبض قلبه من مزاج . ومع غزارة علمه لم يكن يدعى المعرفة بكل شىء فاذا التبس عليه أمر من الأمور لم يجد غضاضة فى أن يحيل سائليه الى المصادر التى يمكن عن طريقها التحقق من المعلومة التى يريدها .

وقد زاد من محبة الطلاب للدكتور أنيس انه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا مفعما بالحب والاخلاص ، وكان انسانا عطوفا يحس باحساسهم

ويتألم لآلامهم ، ويتأثر بمشكلاتهم ومحنهم وأذكر أنه بعد هــزيمة ١٩٦٧ واستمرار اعتداءات اسرائيل على مدن القناة ، واضطرار الحكومة المصرية الى تهجير أهالى القنال الى داخل البلاد علم الدكتور انيس فى اسرة أحــد تلاميذه كانت ضمن المهجرين ، وأنها تعيش فى احدى الخيام المعدة لذلك فأسرع بشراء بعض الهدايا لأطفال هذه الأسرة واخذ يبحث عنها وسط خيام المهجرين بالقاهــرة ، حتى قابل عائلها ، وكانت كلمات أنيس العطوفة ذات اثر جميل فى نفس هذه الأسرة فقد خففت عنها لوعة ما هى فيه ، واظهرت لها ان الدنيا ما تزال بخير .

أما مؤلفات الدكتور انيس وآثاره العلمية فقد كانت تعبر أصدق تعبير عن ايمانه بقدرات الشعب المصرى الخلاقة ، ومحاولاته المستمرة للوقوف ضد ظالميه ومغتصبى حقوقه فمن يقرأ دراساته وابحاثه فى تــاريخ مصر الحديث والمعاصر يجد فيها « بانوراما » لانتاجه الفكرى الذى يرقى فوق اسلوب سرد الحوادث والوقائع ويتميز بالأصالة ، ويقوم على الدراسات المهضومة التى تخاطب العقل ، وتتغزل فى حب مصر والدفاع عن حقوقهــا بطريقة محببة للعقل والنفس معا ويشعر بأنه يقرأ لمؤرخ قادر على توصيل الحدث ونقله بطريقة صحيحة مؤثرة وكأنه يعيش فى العصر الذى يتحدث عنه وكأن الحدث يتمثل أمامه .

لقد ظل الدكتور انيس فى كتاباته يدعو الى نفض تراب النسيان الذى تراكم على صفحات الكفاح الوطنى سعيا وراء الأسرار والخفايا المجهولة ، وبحثا عن التراث الفكرى والحضارى فى احشاء التاريخ . كما أنه طرق بابا جديدا للوصول الى ماهو غير متاح فى الكتب والوثائق المستهلكة الا وهو الحصول على مذكرات السياسيين الذين شاركوا فى الأحداث ثم دراستها واستخلاص ما بها من أسرار وأخبار ، والربط بينها وبين شتات المتفرقات التاريخية والحقائق المضطربة المتنازعة بحثا عن الحقيقة الواضحة الأركان وقد نجح فى ذلك الى حد كبير .

ومع أن اهتمامات الدكتور أنيس تركزت فى دراسة تــاريخ مصر المعاصر والبحث فى دهاليز هذا التاريخ بحثا عن شخصياته المحركة فانه لم يغفل أيضا دراسة الحكم العثمانى للوطن العربى وأثره .

وتناول الدكتور أنيس فى كتاباته التاريخ الأوربى فى محاولة منه لابراز أهمية التفسير الاقتصادى فى فترة انتقال أوربا الى العصور الحديثة .

وبالنسبة لتاريخ مصر الحديث فقد الف الدكتور أنيس كتابا بعنوان حضارة مصر الحديثة تناول فيه الاتجاهات الهامة فى تطور مصر السياسى والاقتصادى والاجتماعى خلال العصر الحديث .

وفيما يخص تاريخ مصر المعاصر اصدر الدكتور أنيس كتابا بمناسبة اشتراك مصر فى مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ وكان عنوانه «المؤتمر الآسيوى الافريقى » أوضح فيه أسباب انتهاج مصر لسياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى . وفى عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية أصدر الدكتور أنيس كتابا بعنوان « دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية » أوضح فيه أن الوحدة العربية هى السبيل الأمثل لحركة النضال الوطنى فى العالم العربى ، وأن مصر قلب العروبة النابض ورائدة الكفاح ضد الاستعمار ستظل مركز الثقل فى العالم العربى .

وفى عام ١٩٦٢ أصدر الدكتور انيس كتابا تحت عنوان « صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل » وانفرد فيه بنشر رسائل جديدة لمصطفى كامل من ٨ يونيو ١٨٩٥ الى ١٩ فبراير ١٨٩٦ ترتبط فى معظمها بعلاقته مع الخديو خلال هذه الفترة .

وفى عام ١٩٦٣ نشر كتابه « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » وهو يحوى المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية وهى توضح العديد من النقاط الغامضة خلال اشتعال الثورة ودور عبد الرحمن فهمى فى ضم العمال خلال الثورة .

وفى عام ١٩٧٢ ينشر كتابه « ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى» وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها فى الأهرام فى عام ١٩٦٧ وتتمثل قيمة هذا الكتاب فى أن صاحبه فتح للمؤرخين بابا جديدا باعتماده على الوثائق البريطانية فى تحديد مسئولية الوفد فى هذه الحادثة وربطه للأحداث فى اطارها الدولى ، وبحكم فكره التقدمى استطاع ان يثبت ان الأمر يرجع الى رغبة بريطانيا فى الاستناد الى قوة شعبية

ممثله فى حزب الوفد . وهذه الرغبة دفعتها الى ما حدث وهذا يؤكد فى النهاية نفى المزاعم التى ترددت حول عمالة النحاس للانجليز وتورطه فى الأمـــر .

وفى عام ١٩٧٢ ايضا صدر له كتاب بعنوان « حريق القاهـــرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مـــرة » وهـــو عبارة عن مقالات كان قد نشرها بالأهرام فى عام ١٩٦٩ وقد حصر فيه مسئولية حـــريق القاهرة فى المخابرات البريطانية والقصر الملكى .

وفى عام ١٩٧٣ نشر أوراق حسن باشا نشأت تحت عنوان « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد » وقد تعرض فيه للدور الذى لعبه الملك فؤاد لمنع الخديو عباس من العودة الى مصر .

وفى عام ١٩٨٤ نشر الدكتور محمد انيس مجموعة محاضراته التى كان قد القاها على طلاب المعهد العالى للدراسات الاشتراكية فى عام ١٩٦٥ فى كتاب تحت عنوان « تطور المجتمع المصرى من الاقطـــاع الى ثـــورة ٢٣ يوليـــو » .

هذا عما كتبه الدكتور انيس فى تاريخ مصر المعاصر واما فيما يخص التاريخ العثمانى فقد تعرض فى كتابه « الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤ — ١٩١٤ » لمسئولية الدولة العثمانية عن تخلف العالم العربى ، وكان ممن يرون أن النظام العثمانى نظام اقطاعى ، وان العثمانيين سيطروا على العالم العربى بقوة السلاح ، وانهم جنس غريب عن العرب ، ولـــم يفكروا قط فى العمل لمصلحة العرب .

كما كتب الدكتور انيس دراسة بعنوان « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » [٥٣] تعرض فيه لكتابات المؤرخين المصريين خلال هذه الفترة ، وناقش محتويات هذه الكتابات والمدارس التى ينتمى اليها اصحابها والى جانب ذلك نجد ثلاث دراسات عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى

---

(٥٣) قام معهد الدراسات العربية العالمية بنشر هذه الدراسة فى عام ١٩٦٢ .

عاصر اجزاء من تاريخ مصر العثمانية وهى « الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار »[٥٤] . و « حقائق جديدة عن عبد الرحمن الجبرتى مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية » وقد اعتمد فيها على وثائق المحكمة الشرعية[٥٥] و « الجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى »[٥٦] وقد تعرض فيه لأهم مصادر تاريخ مصر العثمانية ، وأسباب تدهور التاليف التاريخى فى العصر العثمانى وقد قسم المؤرخين فى هذه الفترة الى ثلاثة اقسام وهى :

مدرسة المؤرخين التقليديين ، ومدرسة التراجم ، ومدرسة الأجناد ، ثم بدا يوضح مميزات الجبرتى على غيره من المؤرخين وكيف كتب مؤلفاته واهمية هذه المؤلفات فى ميزان التاريخ .

وأما عن كتابات الدكتور انيس فى التاريخ الأوربى فقد الف كتابـــا بالاشتراك مع الدكتور سعيد عاشور تحت عنوان « النهضات الأوربية فى أواخــر العصور الوسطى » .

والف كتابا بالاشتراك مع الدكتور محمد فؤاد شكرى تحت عنوان « أوربا فى العصور الحديثة من النهضة الايطالية حتى الثورة الفرنسية » .

كما نشر محاضراته عن « تاريخ أوربا بين الحربين العالميتين » فى عام ١٩٧٨ .

وفى تناول الدكتور أنيس للتاريخ الأوربى ركز على اثــر التــاريخ الاقتصادى فى انتقال أوربا الى العصور الحديثة ، واثر الطبقة البرجوازية فى انشاء المدن .

وفى مجال دراسة الوثائق شارك الدكتور انيس فى كتاب تحت عنوان وثائق ونصوص فى التاريخ الحديث والمعاصر .

---

(٥٤) نشرت هذه الدراسة فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٨ جـ ١ مايو ١٩٥٦ .

(٥٥) نشر بالمجلة التاريخية المصرية فى عام ١٩٦٢ .

(٥٦) انظر عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص ٩٥ — ١٢٠ .

وقد اختار الفترة المعاصرة التى تبدأ باعلان الحمـــاية حتى مشروع تمويل السد العالى فى عام ١٩٥٨ وذلك بغرض توعية الطلاب بقضـــــايا بلادهم (٥٧) .

ومن يتصفح هذه المؤلفات بعناية يتبين له أن الدكتور انيس لم يركز اهتمامه فى مؤلفاته على الأحـــداث السياسية والوقائع الحربية التى كان ينصرف اليها اغلب اهتمامات مؤرخى عصره بل اهتم بابراز الجـــــوانب الاقتصادية والاجتماعية والعقلية وغيرها من مظاهــــر الحياة الانسانية ، فكان حكمه على الأحداث شاملا ومتزنا ، وكانت طريقته فى هذا المجـــال نبراسا يحتذى به ، هذا الى جانب الابتعاد عن السرد التاريخى والاهتمام بالجانب التحليلى ، والكشف عن كل ما هـــو جديد من الوثائق ونقدها .

ومن المعروف أن آراء الدكتور انيس لم تقتصر على كتبه فحسب بل هناك مقالاته العديدة فى الصحف والمجلات وهى تحمل اشعاعات فكره ، ولو أنها جمعت لشكلت تراثا هاما . وفى الحقيقة انه فكـــر خلال أيامه الأخيرة فى تجميع هذه المقالات فى كتاب كبير حتى لا يطويها النسيان وكان قد كلف كاتب هذه الدراسة بمهمة القيام بتجميع هذه المقالات وتصنيفها الى قسمين : المقالات التاريخية والمقالات الثقافية وقد قمت بتجميع بعضها فعلا ، ولكن اعارتى المفاجئة الى المملكة السعودية ، ثم وفاته المفاجئـــة أيضا قد حالتا دون اتمام هذا المشروع والأمل يحدونا للقيام بهذه المهمـــة مع بعض تلاميذه فى القريب العاجل ان شاء الله .

ولم يقتصر دور محمد أنيس على تدريس التاريخ داخل أسوار الجامعة بل لقد جعل منه قضية عامة وجماهيرية يشارك فيها كافة ابناء الشعب فنشر مقالاته التاريجية فى الصحف عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وحـــريق القاهـــرة فى يناير ١٩٥٢ وقد لاقت هذه المقالات اقبالا شعبيا منقطع النظير

وكان الدكتور أنيس ينشر مقالاته التاريخية والسياسية فى جريـــدة

---

(٥٧) عاصم دسوقى : محمد أنيس ودوره فى تعقيل دراسة التـــاريخ بالجامعة المصرية ، المجلة التاريخية ١٩٧٤ ص ٣ — ١٣ .

الجمهورية ، كما شارك بجهوده فى مجلة الكاتب التى كانت تصدرها وزارة الثقافة .

ولم تقتصر جهود الدكتور انيس العلمية على ذلك بل كانت له اليد الطولى فى انشاء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بهدف المحافظة على الوثائق ، ونشر الأبحاث الرصينة فى تاريخ مصر المعاصر ، وتصدى بموضوعية الباحث الوطنى لمحاولات نهب الوثائق المصرية .

كما رأس مركز الدراسات التاريخية بالأهرام وقسم الأبحاث بجريدة الجمهورية ، والى جانب ذلك انضم الى الهيئة العليا لحزب الوفد بعد اعادة تكوينه فى السبعينات .

هذا عن نشاط الدكتور انيس داخل مصر ، اما خارجها فقد عمل أستاذا بجامعات الجزائر والعراق ، واليمن الشمالية ، كما عمل مستشارا ثقافيا لامارة أبو ظبى وخلال ذلك قدم آثارا واضحة للعيان سواء بالاسهام فى انشاء قسم من أقسام التاريخ أو اصدار مجلة علمية أو كتابة بعض المقالات التاريخية فى الصحف .

ومما سبق يتضح أن التاريخ عند الدكتور انيس لا يعدو ان يكون محاولة للاجابة عن بعض المشكلات التى تواجه مصر ، لذلك كانت طريقته فى المعالجة هى تحديد المشكلة ثم محاولة ايجاد الحلول لها بطريقة تتميز بالأصالة والعمق .

ان مشكلة الدكتور انيس انه عاش فى عصر شديد التعقيد ملىء بالتحديات ، عصر تفشت فيه الأنانية ، وانعدم فيه الوفاء والاخلاص فمع أنه أحب ثورة ٢٣ يوليو تعذب بسبب أخطائها ، ومع انه احترم افكار قادتها لم يسترح الى كثير ممن نسبوا انفسهم اليها .
ومع أنه تعرض للكثير من العنت وسوء الفهم حتى من جانب بعض المقربين اليه فانه كان يتميز بالسماحة وصفاء القلب ، وكان رده على هؤلاء هو الابتسامة وفتح أبواب الحوار لازالة اى خلافات دون مجاملة فى الحق أو فى موقف يعتقده .

لقد صوره أعداؤه وبعض من لا يعرفونه جيدا كرجل مشاكس يميل الى اختلاق المشاكل ، ولكن الواقع انه كان صاحب شخصية متميزة لها طابعها الخاص ، وصاحب ارادة قوية لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الظروف والأحوال ، كما انه كان صاحب نفس كبيرة ، ووطنية متألقة دافقة ، وحب بارز لتاريخ مصر وخاصة الحديث منه والمعاصر .

لقد ترك الدكتـــور أنيس فراغا كبيرا فى قـــلوب تلاميذه وأصدقائه ومقدرى علمه ، كما ترك فراغا كبيرا فى ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمى ، وانه ليعز علينا أن يختفى هذا الكوكب اللامع الذى لم تهادنـــه الأيام بصروفها ونوائبها ، ومع ذلك ظل منافحا عن الحق فى شدة ، مجاملا فى عزة ، ودودا فى رقـــة ، وتثير احاديثـــه العجب والاعجاب والدهشـــة والتساؤل . فكان بذلك من الأفذاذ الذين شقوا طريقهم بفكرهم والى جانب ذلك كان قلمه فى يده « كالمبضع فى يد الجراح المـــاهر لا يشق الا بتقدير ولا يقطع الا بقدر » واننى اغبط نفسى اذ عاصرته ولازمته وتتلمذت عليه .

لقد عاش الدكتور انيس معتزا بنفسه لا يتقن فن التملق والزلفى أو المداهنة ، يعرف قدر نفسه جيدا ، وهذه كلها صفات أهلتـــه لأن يعيش فقيرا وان يموت فقيرا .

وفى النهاية يمكن القول انه بفضـــل هؤلاء الرواد وغـــيرهم شقت المدرسة التاريخية المصرية طريقهابخطوات متقدمة الى درجة لم يعد تاريخنا حكرا على دراسات المستشرقين بـــل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجـــة أن الباحث الأوربى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع الى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه .

وهذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتبـــاع المنهج العلمى ، والسير على قواعده قـــد أصـــبح أمرا واقعا ، ومعلما رئيسيا لا يستطيع احد ان ينكره أو يتجاهله كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضخما من الدراســـات الموضوعية الجـــادة التى شملت تاريخ مصر بكافة جوانبه .

الخاتمة

وهكذا يتضح أن التاريخ علم يقوم على النقد والتحقيق كما يحتاج الى حسن تفسير الحوادث وادراك أهميتها يضاف الى ذلك ان الدراسات التاريخية الصحيحة تحتاج الى باحث جاد يلم بأصول البحث التاريخى ومناهجه حتى يساير بحوثه بخطى واعية ، ولا يفقد الخيوط العلمية للبحث ، ولا يقع فى أخطاء ومثالب من سبقوه فان الكثيرين من غير المؤرخين يحلو لهم الكتابة فى التاريخ ، ومحاولة الغوص فى اعماقه ، ولكن ذلك لا يعنى ان كل من يقدم على الكتابة فى التاريخ يصبح مؤرخا حقيقة ان كل عمل علمى بشرى يحتمل الصواب والخطأ كما يحتمل التصويب والتقويم ، ولكن دراسة مناهج البحث التاريخى غالبا ما تقلل من المثالب التى يقع فيها الباحثون وتحول اعمالهم الى ما يصبو اليه العلم من دقة وموضوعية .

ولست أدعى أننى بهذه الدراسة أقدم نظرية جديدة فى كتابة البحث ، ولكنى أطرح تصورى لاعتقادى أن الحركة التاريخية فى حاجة الى من يدفعها دائما ، ويغوص فى أعماقها فان كنت قد وفقت الى اضافة قطرة من المعرفة فهذا ما كنت ابتغيه ، والله ولى التوفيق .

أهم المصـــادر والمراجــع

أولا ــ الوثـــائق غير المنشـــورة :

١ ــ دار الوثائق القومية بالقلعـــة .

نشرة تفسير القانون ٥٦ ، لسنة ١٩٥٤ وتنظيم المحفوظات .

ثانيا ــ المصادر والمراجع العربية المنشورة :

ــ ابن الأثـــير : الكامل فى التاريخ حـ ١ ، المجـلد الأول ، بيروت دار صادر ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ــ أحمد شلبى : كيف تكتب بحثا أو تعد رســالة ، القاهرة ، النهضـــة المصرية ، ١٩٧٦ .

ــ أســد رستم : المحفوظات الملكية المصرية ــ بيان بوثائق الشـــام ، المجلد الأول ١٩٤٠ .

ــ بطـرس البســتانى : محيط المحيط ، بيروت ، ١٩٨٣ م

ــ البغــدادى : سبائك الذهب فىمعرفـــة قبائل العرب ، المكتبة العلمية .

ــ أبــو بكر الصـــولى : ادب الكتاب ــ تحقيق محمد بهجة الأثــرى ــ القاهرة ، ١٣٤١هـ .

ــ البــيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخاليـــة .

ــ جمـــال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥١ .

ــ حســن عثمــان : منهج البحث التاريخى ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠م .

— حسنين ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز العربية .

— ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر حـ ١ ، بيروت .

— سلوى ميلاد : الوثيقة القانونية ، ماهيتها — أجزاؤها — اهميتها ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ .

— سيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨١ .

— سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ومناهج البحث فيه ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

— شمس الدين السخاوى :

(أ) الاعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(ب) التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٨٩٦م .

— عادل غنيم وجمال حجر : فى منهج البحث التاريخى — حول المنهج فى كتابة التاريخ ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

— عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .

— عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ .

— عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل حـ ١ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٣٢ .

— عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، دار المشرق ١٩٨٣ .

— عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، حـ ٤ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦ .

— عبد العظيم رمضان : المذكرات السياسية واهميتها فى تاريخ مصر المعاصر ، سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الاسبوع العلمى الثانى .

— عبد المنعم الجميعى : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٨٥ .

— عبد الواسع الواسعى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ .

— على بركات : دراسات فى منهج البحث التاريخى ، المنصورة ١٩٨٠ .

— عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد حـ ٢ ، الرياض مكتبة الرياض الحديثة .

— قاسم السامرائى : مقدمة فى الوثائق الاسلامية ، الرياض دار العلوم ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

— قسطنطين زريق : نحن والتاريخ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤م .

— لويس جوتشلك : كيف نفهم التاريخ — مدخل الى تطبيق المنهج التاريخى — ترجمة عائدة سليمان واحمد مصطفى حاكمة — بيروت ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٦ .

— ماهر فهمى : السيرة تاريخ وفن ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٠ م .

— مجمع اللغة العربية : القاموس المحيط ، طهران ، المكتبة العلمية .

— مجموعة من الأســاتذة : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، بيروت ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ .

— محمد حســين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، القــاهرة ، دار المعارف .

— محمد رفعت رمضــان : على بك الكبير ، القاهرة .

— محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية حـ ١ القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ .

— محمد ماهر حمــادة : المكتبات فى العــالم — تاريخها وتطورها حتى مطــلع القــرن العشرين ، الريــاض ، دار العلوم ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .

— محمــد منــدور : النقد المنهجى عند العرب ، القاهرة ، دار نهضــة مصر ، د . ت .

— محمد مهــدى عــلام : مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما — المجمعيون — القاهرة ١٩٦٦ .

— محمــد الواقــدى : مغازى الرسول وسراياه — نشر جماعة الكتب القديمة ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

— محمود قــاسم : المنطق الحــديث ومناهج البحث ، القــاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٧ .

— ملاكاتب حــلبى : كشف الظنــون عن أســامى الكتب والفنون حـ ١ استانبول ، دار السعادة ، ١٣١٠هـ .

— ابن هشــام : الســيرة النبويــة (أربعة أجــزاء) تحقيق مصطفى السقا وآخــرون .

— هرنشــو : علم التاريخ — ترجمة عبد الحميد العبادى — القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧ .

— هيـــوج اتـــكن : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة محمود زايد — بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٣ .

— ول ديـــورانت : مباهج الفلسفة — ترجمة أحمد فؤاد الأهـــوانى — القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٥ .

ثالثا — المراجـــع الأجنبيـــة :

— Hallet, Carr : What is History, London 1961 .

— Kau Fmann : Methodology of the Social sciences . London, 1947 .

— Walsh, W. H. : An Introduction to Philcsophy of History,

— Zaki, Abdel Raman : Mohammed Shafik Ghorbal 1894 - 1961 Cairo 1962 .

رابعا الدوريـــات :

— الأخبـــــار سبتمر ١٩٨٦ .

— الأهـــــرام سبتمبر ١٩٨٦ .

— الدارة شـــوال ١٤٠٥هـ / يونيو ١٩٨٥ .

— صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٦٧ .

— العـــرب رجب ١٣٨٦هـ ، جمادى الآخرة ١٣٨٧ .

— العـــربى ١٩٨٨ .

— الكاتب المصرى أبريل ١٩٤٨ .

— المجــــلة ١٩٦١ ، ١٩٦٤ .

— المجـــلة التاريخية ١٩٤٨ ، ١٩٦٣ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٨ .

— مجـــلة الثقافـــة سبتمبر ونوفمبر ١٩٤٣ .

— المجلة العربيـــة للعلوم الانسانية بالكويت ١٩٨٢ .
— مجلة كليـــة الآداب مايو ١٩٣٦ .
— مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٥٦ ، ١٩٦٠ .
— مجلة كلية آداب جامعة عين شمس ١٩٦٤ .
— مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ .
— مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ .
— المشرق البيروتية ١٩٣٧ .
— المقتطف ١٩٣١ .

فهرست

	الصفحة
مقدمـــــة	٥ — ٨
الفصل الأول : كلمة تاريخ وتطور استخدام العرب لها	٩ — ١٨
الفصل الثانى : التاريخ كعلم ومنهج	١٩ — ٣٤
الفصل الثالث : صفات المــؤرخ	٣٥ — ٣٩
الفصل الرابع : المصادر الأصلية والمــراجع ودورهــا فى الكتابة التاريخية	٤٠ — ٤٦
الفصل الخامس : العلوم المساعدة للتاريخ	٤٧ — ٦٦
الفصل السادس : مراحل اعداد البحث التاريخى والقواعد المنهجية فى كتابته	٦٧ — ٧٢
الفصل السابع : الوثائق واهميتها فى الكتابة التاريخية	٧٣ — ٧٩
الفصل الثامن : مدرسة التاريخ المصرى الحديث فى القرنين التاسع عشر والعشرين	٨٠ — ١٠١
الفصل التاسع : اهم دور الكتب والوثائق فى العـــالم وكيفية الافادة منها	١٠٢ — ١١٢
الفصل العاشر : ابرز رواد التاريخ الحديث من الجامعيين	١١٣ — ١٥٠
خاتمـــة	١٥١
اهم المصادر والمراجع	١٥٢ — ١٥٧

مطبعة الجبلاوى

٢٠٢ شارع الترعة البولاقية ـــ شبرا ـــ مصر

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/١
I: S. B. N. 977 — 00 — 2567 — 4